دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	حروف المعاني الأحادية : دراسة في أسباب الاختيار
المصدر:	مجلة كلية التربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس - مصر
المؤلف الرئيسي:	عرابي، جميل علي محمد
المجلد/العدد:	مج 5, ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1999
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	1 - 67
رقم MD:	139459
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, AraBase
مواضيع:	مخارج الحروف، اللغة العربية، الحروف العربية، النقد اللغوي، النحو، الصرف، علم الاصوات اللغوية، معاني الألفاظ، الألفاظ اللغوية، المعاني الأحادية، الإعراب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/139459

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

كلية دار العلوم
جامعة القاهـــــرة
قسم النحو والصرف والعروض

حروف المعاني الأحادية

دراسة في أسباب الاختيار

من إعـداد :

الدكتور/ جميل علي محمد عرابي

مدرس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

قسم النحو والصرف والعروض

المقدمة

الحمد لله الذي ليس لعلمه غاية ، ولا لجوده نهاية ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث بالهداية ، وعلى آله وصحبه صلاة تنجي من الضلال والغواية ..

وبعد

فإن الإنسان يولد صائتاً ؛ فالصوت أول تعبير في الحياة ، وقد احتاج الإنسان إلى هذا الصوت للتعبير عن أغراضه المختلفة ، وقد ركب الله تعالى جهاز النطق الإنساني على هيئة مرنة عجيبة تسمح له بتكوين شتى الأصوات التي تناسب رغباته ، فله خواص السعة والضيق واهتزاز الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها ، وارتفاع الصوت وانخفاضه .. إلخ .

والصوت اللغوي يطرح العديد من المشاكل التي ينبري لمعالجتها العلماء والمفكرون كل في مجاله ، ووفقاً لمقدرته للإجابة على تساؤلات نحو : كيف يولّد الصوت الأحاسيس المقرونة ؟ كيف وُجِّه الصوت وامتُطِي إلى المعنى ؟ كيف تحول الصوت آلياً إلى الخط ، والخط إلى الصوت ضمن لسان واحد ، ومن لسان إلى آخر ؟ هذه الأسئلة وغيرها الكثير تدور حول الصوت الذي هو أداة التعبير والتواصل الإنساني ، وهو بلا شك آية عظمى من آيات الخالق جلت قدرته ، وقد قال أحد الفلاسفة : إن المرء لم يقم في كل سني حياته الطويلة بشيء يثير الدهشة ، ويدعو إلى العجب أكثر مما قام به حين تعلم النطق .

وقد تناول هذا البحث جانباً من دراسة علم الصوتيات ، وهو دراسة حروف المعاني الأحادية في اللغة العربية ، مع محاولة دراسة الأسباب التي أدت إلى اختيار اللغة لهذه الحروف بعينها وترك غيرها .

وقد فرق الدكتور تمام بين علم الصوتيات وعلم الأصوات فقال : " أصبح علم الأصوات تمهيداً بالملاحظة الحسية لإنشاء علم الصوتيات الذي هو تخطيط عقلي

لقواعد الأصوات ... فعالِم الأصوات مسجِّل ، وعالِم الصوتيات مفسر ومنظم، وأولهما يلاحظ ، والثاني يقعد " [١] ويقول أيضاً : " ويظهر أن سيبويه كان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لا بد منها لدراسة اللغة " [٢] .

وقد جاء البحث في ثلاثة فصول يسبقها تمهيد ويعقبها ثبت بمصادر البحث مراجعه ؛ تناول التمهيد بعض القضايا اللغوية التي تمتُّ للبحث بصلة وثيقة كاهتمام العلماء على مر العصور بدراسة اللغة ، واختلاف العلماء حول نشأة اللغات وهل تم ذلك بالعرف أم الاصطلاح؟ وقد رأى البحث أن "اللغة المتكلمة تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي مهما قل عدد أفراد الجماعة اللغوية ، وهذا يضع اللغة حتماً في قائمة الرموز مثل عملة النقد الورقية التي ترمز إلى قيمة شرائية معينة ، وتعتمد في قيمتها على العرف والاتفاق بين أفراد المجتمع لا على قيمتها الذاتية ، وإنه لواضح بدرجة كافية أن القيمة التي يدل عليها الرمز تتم بطريقة التحكم والفرض ، وأنه ليس هناك أية رابطة فطرية بين اللفظ ومدلوله ، ولو صح الافتراض القائل بوجود علاقة بينهما لكان حتماً أن يتكلم الناس لغة واحدة " [٣] .

وتناول الفصل الأول وصفاً لحروف المعاني الأحادية البالغ عددها أربعة عشر حرفاً مع الصفات الفيزيائية لكل حرف من هذه الحروف ومخرجه من جهاز النطق .

وتناول الفصل الثاني أسباب اختيار هذه الحروف وصفاتها النطقية وآثارها السمعية من الحسن والوضوح والسهولة وغير ذلك من السمات والخصائص التي أهلتها للقيام بوظائفها المنوطة بها ، حيث إن الصوت الحسن " يقوم بدور مهم في تشكيل الأداء الصوتي للمتكلم مما يؤثر في عملية التواصل بينه وبين المستمع ، ويصبح عاملا من عوامل الألفة والنفور ، والإقبال والإعراض ، والموافقة

---

١ - د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٤٧

٢ - السابق : ص٥٠

٣ - ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص٤١

والرفض " [١] هذه الحقيقة التي اكتشفها أبناء العروبة منذ القدم فوضعوها لغة يطرب إليها من يسمعها لما فيها من صفاء في الاختيار ، وحسن في الإيقاع ، وذوق في التنغيم ، وعرفوا بفطرتهم السليمة أن " التذاذ الأذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن ، والشم بالروائح الطيبة ، والفم بالطعوم الحسنة " [٢] .

أما الفصل الثالث والأخير فقد تناول الوظائف النحوية والدلالية لحروف المعاني الأحادية .

وهي محاولة اجتهادية أرجو أن تنال إعجاب قارئها ، وإن أكن قد وفقت فيها فذلك بفضل الله وعونه ، وإن تكن الأخرى فحسبي أجر المحاولة ، والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به إنه نعم المولى ونعم النصير ، وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

المؤلف

مدينة العين ، ٢٠٠١/١/٨

---

١ - د . كريم حسام الدين : الدلالة الصوتية ، ص٨٥ .

٣ - ابن القيم : مدارج السالكين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ٥٢١/١ .

التمهيد

الدراسات اللغوية : لمحة تاريخية :

عُرِّفَتِ اللغةُ تعريفات عديدة منها ما ذكره الأقدمون في كتبهم وهي أنها : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ، ومنها أيضاً : " كل لفظ وضع لمعنى " . وهناك تعريفات عديدة غير ذلك ذكرها السيوطي في كتابه القيم المزهر " [١] .

ومن التعريفات التي ذكرها المحدثون : " إن اللغة أداة تفكير ، وأسلوب تعبير ، ووسيلة تصوير ، وهي تؤدي هذه الوظائف للإنسان الفرد وللمجتمع الإنساني " [٢] .

ومنذ أن تكلم الإنسان وهو دائم التأمل في اللغة التي يتكلمها ، يدفعه ذلك التأمل عادة إلى اختيار بعض الكلمات ، وترك البعض الآخر ، بسبب الميل إلى السهولة تارة ، وأمن اللبس تارة أخرى ، والوضوح والتميز تارة ثالثة .. وهكذا .

" واللغات ظواهر معقدة جداً ، وهي بعيدة كل البعد عن أن تملك التقنين المبالغ في تيسيره " [٣] .

ولعل السبب في أن اللغة تعد ظاهرة معقدة ، وقد بدأت بسيطة ساذجة ، هو مواكبتها ــ مع مرور الزمن ــ التقدم العلمي والتكنولوجي للبشرية ؛ مما حدا بهم إلى ابتكار مصطلحات جديدة ثرّت مفردات اللغة وتراكيبها وأساليبها . ويرى البعض أن

---

[١] – انظر السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ، (د.ت) ج١ ، ص ٥ وما بعدها .

[٢] – د. علي أبو المكارم : المدخل إلى دراسة النحو العربي ، ط١ ، ١٩٨٠، ص ٢٣ .

[٣] – ماريو باي : أسس علم اللغة ، ترجمة د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٥٥.

للبيئة أثراً كبيراً في نشوء اللغة وتطورها .[١] ، ويقول أرسطو : " كل شيء في العالم يحركه باعث داخلي ليصبح شيئاً أكبر مما كان عليه " [٢] . ويقول ماريو باي : " اللغة نفسها ظاهرة متغيرة ومؤقتة وخاضعة لقوانين التطور " [٣] .

وقوانين التطور هذه ليست قوانين عشوائية غير مدروسة ، وإلا لما ثبتت أمام عاديات الزمن وكر الأيام ، واللغة عند الإنسان في أصالتها وتغلغلها تصل إلى حد العقيدة التي استقرت في قلبه ووجدانه وعقد عليها بحيث إنها لم تعد تطفو إلى سطح فكره لتناقش من جديد ، إذاً لو كانت البناءات العقدية القديمة محض خيال عقيم لما تمكنت من الصمود في وجه النشاط البشري المتجدد . بل تحتوي خبرة أفادها الناس مع تتابع الأجيال . وهذه الخبرة تتبلور في خضم أرجوحة جدلية بين عمليتين متقاربتين متلازمتين : استمرار التشبث بالمعتقد ، وتجدد النشاط العملي .

يتفاعل النشاط والاعتقاد بشكل عضوي ، الاعتقاد يبلور أمثلة تجريبية يؤولها ويكيفها لضمان الاستمرار ، والنشاط العملي (في الطبيعة) يبني أمثلة تجريبية يؤولها ويكيفها لتجديد السلوك وتغيير أساليب مواجهة ظروف العمل . في هذه الجدلية

---

١ – يرى بعض الباحثين أن جزيرة العرب مرت بثلاث مراحل : الأولى هي المرحلة الغابية ، حيث كانت الجزيرة العربية غابة كبيرة وذلك خلال المائة ألف سنة قبل الميلاد ، وفي هذه الفترة نشأت حروف (الهمزة والألف والواو والياء) ثم تلتها المرحلة الزراعية والتي استمرت حتى الألف التاسع قبل الميلاد وقد نشأ فيها حروف (الفاء واللام والميم والثاء والذال) ثم تلتها المرحلة الرعوية والتي استمرت حتى العصر الجاهلي وفيها نشأت بقية الأبجدية العربية . (حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٨ ، ص ١٠) .

٢ – محمد عنبر : جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧ .

٣ – أسس علم اللغة ، ص ٣٧ .

الدينامية تتطور الخبرة لتشكل نواة معرفية أكثر فأكثر أهمية " (١) .

والنشاط العملي كلمة عامة تحوي كل ما يقوم به الإنسان من نشاط ، واللغة أحد هذه الأنشطة ، فهي تتفاعل مع التجارب اليومية التي يقوم بها الإنسان ، وهي تجارب غير متناهية ، ولا بد للغة أن تحوي كل هذه الأنشطة وتواكبها ؛ فمن هنا كان أمر السيطرة التامة على اللغة ومحاولة تبسيطها بشكل كامل حلم علماء اللغة على مر العصور .

يقول الدكتور أيوب : " لعل الدراسات اللغوية من أقدم وأهم الدراسات التي عالجها العقل البشري ، وقد انتقلت هذه الدراسات كما انتقل سواها من مرحلة التأمل العابر إلى مرحلة العلم المنظم " (٢) .

ويقول ماريو باي : " وأما الاهتمام المقصود باللغة ومشاكلها فيبدأ مع فلاسفة اليونان القدماء والنحاة السنسكريتيين . وفي حين ناقش الأولون أصل اللغة وطبيعتها ، حاول الآخرون أن يقننوا لغتهم ويضعوا لها القواعد الخاصة بها . وإن المنهج الذي وضعه penini للنحو السنسكريتي (٣٠٠ ق.م ولكنه يحوي إشارات إلى أعمال سابقة) ليعد غاية في الدقة والإيجاز ولكننا لا ندري ما إذا كان هذا العمل في مجموعه وصفياً descriptive أو معيارياً predescriptive " (٣) .

ويقول بسام بركة : " دراسة الصوت اللغوي بالطرق العلمية الدقيقة لم تر النور في أوربا إلا في القرن التاسع عشر على يد دارسي علم اللغة المقارن . إلا أن وضع

١- بناصر البعزاتي : (في مسألة البداية التاريخية للمعرفة العلمية) ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، المغرب ، العدد ١٨، ١٩٩٣ ، ص ١٣ .

٢ - د . عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨ ، ص ١ .

٣ - ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

الأسس النظرية التي أدت إلى تطور هذه الدراسة جرى على يد رهط من العلماء في مطلع القرن العشرين منهم رائد اللسانية دي سوسور ، ومؤسسو مدرسة براغ " [١] .

وبعد هذه المقدمة التاريخية المقتضبة ، التي وضحت لنا شغل العلماء الشاغل على مر التاريخ بدراسة خصائص اللغة ، والتعرف على أهم سماتها ننتقل إلى زاوية أخرى من زوايا البحث ، وهو الخلاف بين علماء اللغة القدامى والمحدثين حول نشأة اللغة ، وهل هي توقيفية من الله تعالى ، أو أنها اصطلاحية من ابتكار البشر ؟

اللغة بين التوقيف والاصطلاح :

أفاض السيوطي في كتابه القيم "المزهر" في ذكر حجج من قال بأن اللغة توقيفية بوحي من الله تعالى ، مستدلا بآيات قرآنية نحو قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها " [٢] ، كما أفاض أيضا في ذكر آراء القائلين بالوضع والاصطلاح في نشأة اللغات ..

والقارئ لآراء الفريقين يلاحظ أن حجة أصحاب الوضع والاصطلاح أقوى وأن برهانهم أسطع وأنصع من القائلين بالتوقيف وذلك للأسباب التالية :

١ – أن المقصود بالتعليم الوارد في الآية الكريمة هو الإلهام إلى وضعها .

٢ – اختلاف مخارج الحروف والقدرة على نطقها بين قوم وقوم ؛ ولو كان الأمر توقيفا لتكلم الناس من مخارج واحدة وبأصوات واحدة .

---

١ – بسام بركة : علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص٦،٥ . ومدرسة براغ هي مدرسة لغوية امتد نشاطها من سنة ١٩٢٦ حتى الحرب العالمية الثانية ، وضمت عددا كبيرا من علماء اللغة من جنسيات مختلفة ، ومن ألمع علمائها : تروبتسكوي ، صاحب النظرية الأولى في الفونولوجيا ، ورومان جاكوبسون مؤسس نظرية الثنائيات في التركيبة الصوتية .

٢ – سورة البقرة : من الآية ٣١ .

٣ – لو كانت اللغة توقيفية لترتب على ذلك إرسال الرسل أولاً إلى أقوامهم ليعلموهم اللغة فتكون البعثة سابقة على تعلم اللغة ، ولكن الأمر بالعكس ، حيث قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسولٍ إلا بلسانِ قومِهِ " [١] فوجود اللغة سبق البعثة ، وهذا يدل على أن اللغة اصطلاحية ، يصطلح كل قوم على لغة ما فيما بينهم، ثم يأتي الرسول إلى قومه بلسانهم " [٢] واستمع إلى السيوطي في موضع آخر من كتابه يقول : " إن الإنسان هو المتمدن بالطبع ، والتوحش دأب السباع ، ولهذا المعنى توزعت الصنائع ، وانقسمت الحرف على الخلق ، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها ؛ لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بجملة مقاصده ، فحينئذ لا يخلو من أن يكون محل حاجته حاضرة عنده أو غائبة بعيدة عنه ، فإن كانت حاضرة بين يديه أمكنه الإشارة إليها ، وإن كانت غائبة فلا بد له من أن يدل على محل حاجته وعلى مقصوده وغرضه **فوضعوا** الكلام دلالة ، ووجدوا اللسان أسرع الأعضاء حركة وقبولاً للتردد ، وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت ، فإن تركه سدى غفلاً امتد وطال ، وإن قطعه تقطع ، **فقطعوه وجزؤوه** على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت ، وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم ، **فوجدوه** تسعة وعشرين حرفاً لا تزيد على ذلك ؛ ثم **قسموها** على الحلق والصدر والشفة واللثة ، ثم **رأوا** أن الكفاية لا تقع بهذه الحروف التي هي تسعة وعشرون حرفاً ولا يحصل له المقصود بإفرادها ، **فركبوا** منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً ، هذا هو الأصل في التركيب ، وما زاد على ذلك يستثقل **فلم يضعوا** كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف إلا بطريق الإلحاق والزيادة لحاجة ، وكان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير

---

[١] – سورة إبراهيم : من الآية ٤ .

[٢] – السيوطي : المزهر ، ج ١ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

أنه لا يمكن ذلك ؛ لأن هذه الكلمات متناهية ، وكيف لا تكون متناهية ومواردها ومصادرها متناهية ؟ فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة كالعين والجون واللون ثم وضع بإزاء هذا على النقيض كلمات لمعنى واحد ؛ لأن الحاجة تدعو إلى تأكيد المعنى والتحريض والتقرير فلو كرر اللفظ الواحد لسمُج ومُج " [١] .

وهكذا نلاحظ من كلام السيوطي – وقد طال النقل عنه لإثبات ما يريد البحث إثباته – إشارة إلى أن اللغة قد تمت بالتواضع والاصطلاح ، دل على ذلك كلمات كثيرة جاءت في النص السابق وهي الكلمات التي كتبت فوق الخط ، وقد ذكرت دائماً بإسناد الفعل المبني للمعلوم إلى واو الجماعة دلالة على أن ذلك قد تم بوعي من الجماعة اللغوية بما حدث في لغتها من تواضع واصطلاح وتطور لغوي .

ويقول ابن جني : " أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، لا وحي وتوقيف " [٢] .

ويذكر في موضع آخر من الخصائص كلاماً يدل على أن أصحاب اللغة لهم دور كبير في اختيار ما يتلاءم من لغتهم مع أغراضهم التي يريدون التعبير عنها، وأنهم يقصدون إلى ذلك قصدا. واستدل على ذلك بقول العرب: جاء القوم أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون ، بدلا من تكرار كلمة "أجمعون" وذكر أن العلة في ذلك تحاشي تكرير الحروف كلها ، ولكنه علل إعادة العين وحدها دون سائر الحروف بأنها أقوى في السجعة ، لأنها لام الكلمة فهي قافية ، وهي آخر حروف الأصل [٣] .

---

١ – السابق : ج ١ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

٢ – ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٠ ، ص ٤٠ .

٣ – السابق ٨٣/١ ، وانظر أمثلة أخرى ٦٥/١ ، ٦٦ .

وأرى أن اللغة لو كانت توقيفاً لما وجدنا في اللغة الواحدة اسمين لمسمى واحد ، وذلك نحو : المدية والسكين ، وثِبْ بمعنى اجلس ، وبمعنى اقفز ، وباب الأضداد في اللغة معروف وهذا يرجح أن اللغة اصطلاحية وليست توقيفية .

ومن كلام السيوطي الجدير بالذكر والاعتبار في القضية المطروحة قوله:"وقد يقصد بالتوقيف وجوب ألا يقع النطق إلا بهذه الألفاظ " (١) .

إذ ما الداعي أن يتكلم الناس بكلمات ويتركوا غيرها ؟ وأن يكون هناك جذور في اللغة تستخدم بكامل تقاليبها نحو (ق.ر.ش) ومنها ما لا يستخدم إلا بعضها كالجذر (د.خ.ل) مثلاً ؟ إذاً فللإنسان صاحب اللغة دور كبير في وضع لغته والتعرف على أهم سماتها وخصائصها وهي الفكرة التي قام عليها البحث .

وبعد أن استمعنا إلى رأي بعض علمائنا القدامى نستمع الآن إلى طائفة من آراء علمائنا المعاصرين .

يقول الدكتور تمام حسان : " لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية من أصولها الثلاثة (الفاء والعين واللام) أن هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساس ذوقي عضوي خاص يتصل بتجاور مخارج الأصول التي تتألف منها الكلمة أو تباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي ، وقد لاحظ الأقدمون أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في مخارج حروفها أن تكون متناسقة " (٢) .

فهذا الأساس الذوقي المعرفي هو ما أشرنا إليه آنفاً من معرفة ابن اللغة لخصائص لغته التي يتكلمها ؛ وهو ما يدفعه إلى اختيار بعضها وترك بعضها الآخر ، أو تخصيص بعضها لأغراض معينة وترك البعض الآخر .

---

١ – المزهر : ١٧/١ .

٢ – د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣، ١٩٩٨ ، ص٢٦٥ .

ويقول الدكتور كريم حسام الدين : " إن عملية الكلام تقوم على الصلة القائمة بين الرمز ودلالته في ذهن كل من المتكلم والمستمع ، وهي صلة تخضع لاتفاق أو تواضع الجماعة اللغوية ، ومن هنا كان اختلاف النظام الصوتي للغة من مجتمع لآخر " (١) .

ويقول أيضاً : " إن الجماعة العربية الأولى قد اتفقت في تشكيل أبنية ألفاظها على إيقاعات يمكن أن تعبر عنها بالمقاطع syllables التي نلمح من خلالها التناظر أو التناسب symmetry بين الأصوات الصامتة consonant والأصوات الصائت vowels التي تشكل المقاطع من ناحية ، كما نجد هذا التناظر أو التناسب يظهر في طول المقاطع داخل البنية من ناحية أخرى " (٢) .

ويقول غيره : " التركيب الصوتي اجتماعي قومي ، يحسن أداءه وفهمه جميع أفراد المجتمع المعلم به ؛ فالتركيب الصوتي الخاص بمجتمع هو خبرات عاشها أفراد المجتمع سمعاً ومراساً ، ولم يعشها غيرهم ، فكانت صناعة لا يجيدها من عداهم ، يصوغ الفرد لفظة أو جملة ، ويرسله طاقة إلى سمع مواطنه ، فيسمع المواطن أصواتاً يترتب عليها إدراكه لمعنى ابتلاه هو وغيره من أبناء المجتمع " (٣) .

ويقول آخر : " لقد أصبح من الممكن أن نتصور أن العربي في مراحله اللغوية المبكرة عندما شاهد جملاً مثلاً ، قد أسقط عليه مشاعره ؛ ليعبر عن أحاسيس الضخامة والارتفاع التي تركها في نفسه بالحركة المناسبة من يديه ، مع صوت معين

---

١ – د. كريم زكي حسام الدين : الدلالة الصوتية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٧٥ .

٢ – السابق : ص ١٥٦ .

٣ – نعيم علوية : نحو الصوت ونحو المعنى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٩ .

فيه شيء من الضخامة والفلطحة فكان له من ذلك صوت الجيم ؛ لتسقط الحركات الجسدية مع تطور اللغة العربية ويستعاض عنها بأصوات إضافية من الحروف " [١] .

ويقول الدكتور عبد الغفار هلال : " وبعد الإسلام ماتت ألفاظ وتراكيب ، وعادت أخرى إلى الحياة ، وتطورت بعض التراكيب والمفردات ، ولا يزال التجديد اللغوي مواكباً لركب الحضارة والصناعة مما يدل على أن اللغات من صنع الإنسان ؛ لأن الموحى به لا يتغير ولا يتبدل " [٢] .

وهكذا نلاحظ أن الرأي الغالب لعلماء اللغة قديماً وحديثاً هو أن اللغة تمت بالوضع والاصطلاح .

من خصائص العربية :

إن المتأمل في لغتنا العربية يجد أنها تؤثر المعين المحدد على المبهم المطلق، وتميل إلى التفريق والتخصيص ، وهي ولا شك سمة هامة اتصفت بها العربية فجعلتها لغة متميزة بين لغات العالم استحقت بها ــ وبجدارة ــ أن تكون لغة كتاب الله العزيز الذي تكفل الله بحفظ حروفه من التبديل والتحريف حيث إن " هذا الحرف بنزعته الإنسانية قد وضع العربية في مكان أصلها الأم في المادة وفي التاريخ معاً " [٣] .

ولقد قسم الدكتور تمام حروف اللغة من حيث مخارجها إلى ثلاث مناطق على النحو التالي :

أ) المنطقة الأولى : (الشفتان) وبها حروف : الباء والميم والواو والفاء .

ب) المنطقة الثانية : (مقدم اللسان) وبها حروف : التاء والدال والضاد والطاء والسين والزاي والصاد والنون واللام والراء والجيم والشين والياء .

---

[١] – حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص٣٦ ، ٣٧

[٢] – د. عبد الغفار حامد هلال : العربية خصائصها وسماتها ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٥ ، ص٢٩

[٣] – محمد عنبر: جدلية الحرف العربي ، ص٦٤

ج) المنطقة الثالثة : (مؤخر اللسان والحلق) : وبها حروف : **الكاف** والخاء والغين والقاف والعين والحاء و**الهمزة** و**الهاء** .

يضاف إلى ذلك حرف الألف الذي عده حركة طويلة أو حرفا هوائيا . والمتأمل في ذلك التقسيم يلاحظ أن حروف المعاني الأحادية – والتي وضع تحتها خط – قد توزعت على المناطق الثلاث بحيث استغرقت المنطقة الأولى كلها ، ونصف الثانية والثالثة تقريبا . وهذا الاختيار لا يمكن أن يكون اختيارا عشوائيا ، وإنما هو – دون شك – اختيار مدروس عرفه المتحدثون الأوائل باللغة ، وعرف المتأخرون بعض الأسباب وغاب عنهم الكثير .

ومن خصائص العربية أيضا أنها لغة تجمع بين الاشتقاق والإلصاق ، وحروف المعاني فيها لها أهمية كبيرة في التعبير عن المعاني التي يريدها المتكلم ، لذلك فإننا لا نوافق ما ذهب إليه البعض حيث يقول بـ " عدم مناسبة مفهوم المورفيم للغة العربية ، بسبب أنها ليست لغة إلصاقية تعتمد على اللواصق بل تصريفية " [1] إذ إننا لا نستطيع أن نلغي دور الواصق في اللغة العربية كقولنا : مررت بصديقي على اعتبار أن " بصديقي " مشتقة من "صديق" ولا أن نقول مثلا : ذهبت إليك ، معتبرين أن لفظ " إليك " مشتق من " إلى " ، ولكن الباء في المثال الأول ، والكاف في المثال الثاني من اللواصق ، ولكن يمكننا القول بأن اللغة العربية تحوي النوعين معا ؛ الاشتقاق ، والإلصاق . ويؤيد ما ذهبت إليه بعض الباحثين حيث يقول معللا كثرة الصوامت في اللغة العربية على حساب الصوائت : " ويعلل الغنى في صوامت هذه اللغة بكون اللغات السامية لغات اشتقاقية ، تقوم الصيغ فيها على نظام الجذور (وهي في معظمها تتكون من ثلاثة أصوات صامتة تعبر عن المعنى الأساسي للكلمة ثم يحدد معنى الكلمة

---

[1] – د. محمد عبد العزيز : نظرية الصرف العربي – دراسة في المفهوم والمنهج ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ص ١٠٣ .

الدقيق ووظيفتها بإضافة الحركات ، وكذلك بإضافة مقاطع من حروف في صدر الكلمة أو وسطها أو آخرها) " [١] .

بين اللفظ والمعنى :

تحدث العلماء كثيرا عن أهمية اللغة في حياة البشر ، حيث " إن اللغة سايرت سمات الإنسان المميزة له بين الكائنات الأخرى ، وأسهمت في تطويرها وهي: الاجتماعية والتفكير والتخيل ... إن اللغة ؛ الكلمة والجملة هي الأداة التي حملت الصورة البعيدة مكانا إلى الآخرين وجمعت بين الإنسان ومن حوله فتم وصف الأشياء والتعبير عن الأصوات . وعندما نتحدث عن اللغة إنما نقصد حالتها الناضجة في كلمات هي الرموز المجردة : الأفعال والأسماء وما يربط بينها " [٢] .

و " لقد اهتدى الإنسان إلى آلات النطق وشغلها التشغيل الكفيل بتوليد الصوت الدال أو العلاقة الصوتية كلما لزم الأمر " [٣] حيث " يقرن العقل بين إحساس الصوت وإحساس الصورة ، وبينه وبين إحساس من نوع آخر ، ثم يقيم الصوت دليلا على ما اقترن به من أحاسيس ، فإذا كان هذا الصوت بعينه في الواقع مقرونا بهذه الصورة بعينها في الواقع ثم غابت الصورة وقام الصوت تولت أعصاب الدماغ المختصة توليد تلك الصورة الغائبة " [٤] .

---

[١] – د. غالب فاضل المطلبي : في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية ، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٤٨، ص١١٧ ، ١١٨

[٢] – د. فايز الداية : جماليات الأسلوب ، منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب ، ١٩٨٢ ، ٢/ ص ٨ ، ٩ .

[٣] – نعيم علوية : نحو الصوت ونحو المعنى ، ص ٧ (بتصرف) .

[٤] – السابق : ص ٧ .

وهذا يدل على أن اللغة هي التي أوجدت العلاقة بين اللفظ وما يدل عليه وذلك بتعارف المجموعة اللغوية المعينة على هذه العلاقة بحيث إذا غاب الشيء دل لفظه عليه .

وتقول آن إينو : " ومثلما تكون الأصوات اللغوية وحدات تجريدية معينة بصورة نظرية انطلاقا من اختلافاتها المتبادلة ، تكون عناصر المعنى معرفة بصورة شكلية من تعارضاتها المتبادلة " [١] .

ويقول ابن جني في الخصائص : " قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأصوات المعبر بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود ، والغرض المطلوب وذلك قولهم " بحث " فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، والحاء لصحلها [٢] .

تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث والبث للتراب ... ومن ذلك قولهم : شد الحبل ونحوه ، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ، ثم يلين إحكام الشد والجذب وتأريب العقد فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين ولا سيما وهي مدغمة ؛ فهو أقوى لصنعتها ، وأولى على المعنى الذي أريد بها ... ومن ذلك أيضا : جر الشيء ، يجره ، قدموا الجيم لأنها حرف شديد ، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعا ، ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر ، وكرروها مع ذلك في نفسها ؛ وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعدا عنها

---

١ – آن إينو : مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ، ترجمة د. أوديت بيتيت ، د. خليل أحمد ، دار السؤال ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٥١ .

٢ – الصحل : البحة في الصوت . الوجيز مادة (ص.ح.ل) .

ونازلا إليها وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق فكانت الراء لما فيها من التكرير ، ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جر) . و (جررت) أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها " [١] .

وهكذا يتضح من كلام ابن جني أن ألفاظ اللغة وحروفها تختار بدقة لتدل على معان بعينها لا يدل عليها غيرها . وأن ابن اللغة يختار من الألفاظ والأصوات ما يتناسب والمعاني التي يريد التعبير عنها ، مما يدل أيضا على أن اختيار حروف المعاني الأحادية لهذه الوظيفة كان اختيارا مدروسا .

ويقول ابن جني أيضا في معرض حديثه عن دلالة الألفاظ على المعاني:" فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتيا من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم ؛ وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأصوات المعبر بها عنها فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما تقدره ، وأضعاف ما نستشعره " [٢] .

ويضرب على ذلك أمثلة فيقول : " ومن ذلك قولهم : خضم وقضم ... ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ... ومن ذلك قولهم : الوسيلة والوصيلة ، والصاد ــ كما ترى ــ أقوى صوتا من السين ؛ لما فيها من الاستعلاء ، والوصيلة أقوى من الوسيلة ... ومن ذلك قولهم: صعد وسعد فجعلوا الصاد ــ لأنها أقوى ــ لما فيه أثر مشاهد يرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك ، وجعلوا السين ــ لضعفها ــ لما لا يظهر ولا يشاهد حسا ، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد لا صعود الجسم ... " [٣] .

---

١ – الخصائص ، ٢/١٦٢ – ١٦٤ .

٢ – السابق : ٢/١٥٧ .

٣ – السابق : ٢/١٥٧ – ١٦٠ .

ولعل الضعف الذي أشار إليه ابن جني في حرف السين هو الذي جعل اللغة تختاره للتسويف وهو بلا شك نوع من الضعف الذي يدفع الإنسان إلى التأجيل بدلا من الإنجاز الذي يدل على قوة العزيمة وعدم التردد .

ولكننا نلاحظ أن حرف الصاد ــ بالرغم من قوته ــ لم تتخذه العربية حرفا من حروف المعاني الأحادية ، وإنما آثرت السين رغم ضعفها ، ولعل السبب في ذلك هو التخفيف على جهاز النطق حيث إن حرف الصاد ــ لما فيه من الإطباق ــ حرف ثقيل ، وحروف المعاني يكثر دورانها على الألسنة ، ودخولها على غيرها من الكلمات ؛ لذلك فقد تجنبته اللغة منفردا واستعملته حرفا من حروف المباني .

ولما كانت حروف المعاني الأحادية هي موضوع هذا البحث كان لا بد من التفريق بين ثلاثة مصطلحات متداخلة وهي: الحرف والصوت والأداة .

الحرف والصوت والأداة :

فرق الدكتور تمام بين الحرف والصوت قائلا : " الحرف له صورة واحدة ، كحرف النون مثلا . والصوت هو الحالات المختلفة التي تكون لهذا الحرف كالإخفاء والإظهار والإقلاب والإدغام وغير ذلك " [١] .

ويقول أيضا : " والحروف وحدات من نظام ، وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات ، والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للأصوات وبين الإدراك الذهني الذي للحرف ، أي بين ما هو مادي محسوس وبين ما هو معنوي مفهوم " [٢] .

---

١ ــ د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٢ ــ السابق : ص ٧٣ .

ويختم كلامه في التفريق بين الصوت والحرف بقوله : " وآخر الفروق بين الصوت والحرف أن الصوت جزء من الكلام ، وأن الحرف جزء من تحليل اللغة " [١] .

وعرف الأداة فقال : " وأما الأدوات فإنها تدل على علاقات لا على مسميات " [٢] .

ويؤيد ما ذهب إليه الدكتور تمام الدكتور عبد الغفار هلال فيقول:"فالصوت نشاط عضوي حركي تنشأ عنه قيم صوتية . والحرف هو تلك الوحدة اللغوية المعينة ــ كالنون أو الباء مثلا ــ التي توجد عند موقع معين يقف عنده الصوت يطلق عليه اسم المخرج " [٣] .

وفي السياق نفسه يقول الدكتور أحمد مختار عمر : " إن الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات ، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة أو المتجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتى تصل إلى المجموعة النفسية وعلى هذا فإن أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية أو لعناصرها التكوينية وتقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية " [٤] .

فالصوت هنا هو أعم من الحرف والأداة .

ويقول الدكتور أنيس : " لقد كان وضع الأبجدية السامية عملا علميا رائعا ؛ لأنه تطلب الأذن الموسيقية المرهفة التي تميز صوتا عن صوت ، كما تطلب تحليلا دقيقا

---

[١] ــ السابق : ص ٧٤ .

[٢] ــ السابق : ص ٩٥ .

[٣] ــ د. عبد الغفار حامد هلال : أصوات اللغة العربية ، ص ٧٢ .

[٤] ــ د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١ ، ١٩٩١، ص ٤٠١

لكلمات اللغة وعباراتها، فأولائك العباقرة من الساميين أرهفوا السمع إلى أصوات لغتهم ثم اهتدوا في آخر الأمر إلى تلك المجموعة من الأصوات التي يتألف منها كلامهم واصطنعوا رمزا كتابيا خاصا لكل صوت من هذه الأصوات فاتضحت في أسماعهم الصفات الأساسية مع كل صوت " [١] .

وهنا نلاحظ أن الدكتور أنيس يستخدم مصطلح الصوت لما نطلق عليه اليوم الحرف ولعلهما من وجهة نظره من الأشياء التي إذا اجتمعت افترقت ، وإذا افترقت اجتمعت ، أي أن أحد اللفظين يمكن أن يقوم مقام الآخر في غيابه ، وأن الفرق بينهما يتضح مجتمعين مثل : الفقير والمسكين ، والمسلم والمؤمن ، والبخيل والشحيح ، وغير ذلك في اللغة كثير .

ويعرف الدكتور رمضان حروف المعاني فيقول : " هي الحروف التي تتصل بأوائل الكلمات وليست التي تتصل بأواخرها ؛ لأن التي تتصل بالأواخر تعد من الكلمة مثل الضمائر وعلامة التثنية والجمع ولا يعد منها ما دخل عليها من حروف الجر والعطف وأداة التعريف والسين وهمزة الاستفهام ولام القسم " [٢] .

أقول : بالرغم من احترامنا الشديد لشخص أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب، إلا أن هناك حروفا تلحق أواخر الكلمات ولا يمكن عدها جزءا من الكلمة نحو الكاف واللام مثلا في " هنالك " والكاف في " أولائك " وهذه كما يسميها النحاة وعلماء اللغة حروف خطاب ، واللام في هنالك حرف يدل على البعد ولم يقل أحدهم إنها ضمائر أو نحو ذلك .

---

١ ــ د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط ٦، ١٩٨٤ ، ص ٩٣ (بتصرف) .

٢ ــ د. رمضان عبد التواب : مشكلة الهمزة العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط١، ١٩٩٦، ص١١٢ .

وعن الأداة يقول الدكتور مصطفى النحاس : " إن الأداة تمثل قسما مستقلا من أقسام الكلم له خصائصه وسماته التي تميزه عن بقية الأقسام الأخرى " [١] .

ويقول أيضا : " إن لفظ الأداة قد ورد في كلام النحاة القدامى متمشيا مع المعنى المعجمي أحيانا ، وهو أن الأداة تعني الآلة التي تستخدم ، وهي في النحو يقصد بها الكلمة اسما كانت أو فعلا أو حرفا وغالبا ما تطلق الأداة ويراد بها معنى الحرف المقابل للاسم والفعل " [٢] .

ثم يعود فيعرفها تعريفا جامعا فيقول : " الأدوات هي مجموعة معينة من الكلمات التي تمتاز بكثرة ورودها وأهميتها الخاصة في التراكيب العربية ، وهي روابط تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض وتدل على مختلف العلاقات الداخلية بينها [٣] .

وفي كتابه القيم هذا ذكر مجموعة من السمات والخصائص التي تتسم بها الأداة منها :

١ - أنها تربط الأسماء بالأفعال ، والأسماء بالأسماء ، والجمل بالجمل .

٢ - أنها أكثر أقسام الكلم في الاستعمال .

٣ - عدم دخولها في جدول تصريفي .

٤ - أنها من المبنيات وتلزم حالة واحدة في الضبط .

٥ - التزامها موقعا معينا في السياق [٤] .

---

[١] ـ د. مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ط١ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .

[٢] ـ السابق : ص ١٣ .

[٣] ـ السابق : ٢٤ .

[٤] ـ السابق : ٢٦ - ٢٩ (بتصرف) .

وبعد هذا العرض الموجز حول الحرف والصوت والأداة يمكننا استخلاص النتائج التالية :

١ – أن الصوت قد يتعدد للحرف الواحد وليس العكس كما في حالة النون .

٢ – أن الصوت جزء من الكلام ، والحرف جزء من اللغة .

٣ – أن الأداة لا تكون إلا حرفا وذلك في الأعم الأغلب .

٤ – أن المقصود بحروف المعاني أعم من كونها أداة ؛ إذ إن الحرف قد يتحول إلى أداة عاملة أو إلى اسم أحيانا كما في الضمائر المتصلة ، أو حتى علامة من علامات التأنيث أو التثنية أو الجمع ، وقد يكون الحرف علامة من علامات الإعراب كما في النون وحروف العلة .

الفصل الأول

حروف المعانى الأحادية ـ دراسة وصفية

ينتمي هذا الفصل لما يسمى بعلم الأصوات الأكوستيكي acoustic phonetics وهو "فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع " . [١]

كما أن البحث معني في هذا الفصل بالتعرف على الصفة الصوتية لكل حرف من حروف المعاني الأحادية ؛ لكي نتعرف على السمات والخصائص التي تميزت بها تلك الحروف فأكسبتها هذه القيمة التي أهلتها للقيام بهذه الوظائف دون سواها من الحروف .

"والصفة الصوتية هي الأثر السمعي الناتج عن حركة من حركات عضو واحد أو عدد من أعضاء النطق " . [٢]

و " لقد كانت حنجرة الإنسان أول آلة يستعملها في التصويت ، وقد استطاع بواسطتها ومن خلال تجاويف أخرى فوقها أن يتكلم ويهمس ليتواصل مع غيره ، وأن يصرخ ويصيح لإدخال الرعب في قلب عدوه أو منافسه تارة ، أو مستغيثاً وطالباً النجدة تارة أخرى ، كما استطاع أن ينشد ويغني ليدخل السرور على نفسه وغيره"[٣] .

وقد تحدث الدكتور عبد الغفار هلال عن العناصر الثلاثة للغة وهي الأصوات والكلمات والجمل ثم قال : " ولا ريب أن عنصر الأصوات هو أهم هذه العناصر ؛ لأن اللغة بكل عناصرها لا تقوم إلا به ، وهي بدونه جثة هامدة ، فاللغة المكتوبة لا

---

[١] ـ د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، ص ١٩ .

[٢] ـ د. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٣٣ .

[٣] ـ د. كريم حسام الدين : الدلالة الصوتية ، ص ١٣ .

قيمة لها إذا لم تكن معروفة الأصوات ، وطرائق النطق ، وقد ماتت لغات كثيرة عندما جهلت طريقة نطق الأصوات فيها " [١]

وقبل أن نستعرض معاً الصفات الصوتية لكل حرف من حروف المعاني تجدر الإشارة هنا إلى التعرف على بعض المصطلحات التي يستعملها علماء اللغة عندما يقومون بوصف الأصوات . ومن هذه المصطلحات :

١ــ الجهر : وهو اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء خروج الصوت .

٢ــ الهمس : وهو عكس الجهر ، أي عدم اهتزاز الوترين داخل الحنجرة أثناء خروج الحرف .

٣ــ الشدة : وهذا المصطلح يعني : انحباس الهواء عند مخرج الصوت انحباساً لا يسمح بمرور الهواء حتى ينفصل العضوان فجأة ، ويحدث النفس صوتاً انفجارياً، ويطلق عليه البعض مصطلح انسدادي أو انفجاري .

٤ــ الرخاوة : وهي عكس الشدة ، حيث إن الهواء لا ينحبس انحباساً محكماً عند إصدار الصوت ، وإنما يكتفى بأن يكون مجراه ضيقاً جداً ، فيحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى [٢] .

وحروف اللغة ــ كما هو معروف ــ منها ما هو صحيح ومنها ما هو معتل ، وهناك حروف تعد دائماً ضمن الصحاح ولكنها في الوقت نفسه تحمل خصائص حروف العلة ، وهذه الحروف هي : (اللام والميم والنون) ، وهي جميعاً من حروف المعاني [٣] .

---

١ – د. عبد الغفار هلال: أصوات اللغة العربية ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٨، ص ٧ .

٢ – انظر كتاب الدكتور أنيس : الأصوات اللغوية ص٢٠ وما بعدها ، وانظر أيضاً سيبويه : الكتاب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٢، ٤٣٤/٤ .

٣ – أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى ، ص ٣٨ ، (بتصرف) .

وعن النون يقول ابن جني:" الغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين " . [١]

وحروف اللين هي نفسها حروف العلة عند عدم تجانس الحرف مع حركة ما قبله نحو الياء في (بَيْت) والواو في (نَوْم) أما الألف فهو دائماً حرف علة وإطلاق اللين عليه من باب التغليب .

ومن العلماء من أطلق لفظ الحروف على الصوامت فقط دون الصوائت ، أشار إلى ذلك بعض المعاصرين فقال : " تسمى الصوامت عند علماء العربية القدامى بالحروف " [٢] .

وأول حروف اللغة هو الهمزة :

" وهي تخرج من المزمار نفسه ، وهي صوت شديد انفجاري ، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ؛ لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً . " [٣]

وعرفه آخر فقال : " صامت انسدادي حنجري ، أو مزماري لا مجهور ولا مهموس " [٤]

٢- الباء :

" مجهورة شفوية انفجارية " [٥] ، وهي " صامت انسدادي شفتاني مجهور فمي " [٦] وهو أيضاً : " صوت شديد مجهور يتكون بأن يمر الهواء أولاً في الحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه بالحلق ، ثم الفم ، حتى ينحبس عند

---

[١] ــ ابن جني ، سر الصناعة ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٩٨٥، ٤٣٨/٢

[٢] ــ بسام بركة : علم الأصوات العام ، ص١١٢

[٣] ــ د. أنيس : الأصوات اللغوية ، ص٤٥

[٤] ــ بسام بركة : علم الأصوات العام ، ص١١٨

[٥] ــ ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص٨٣

[٦] ــ بسام بركة: علم الأصوات العام ، ص١١٤

الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً فإذا انفرجت الشفتان فجأة سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء " [١] .

٣ ـ التاء :

" صوت شديد مهموس ، قريب من الدال ، والفرق بينهما في الهمس والجهر " [٢] .

٤ ـ السين :

" ذات صفير عال جداً ، وهي صوت رخو مهموس " [٣] ، وقد وضعها الدكتور أنيس على رأس قائمة أصوات الصفير ، ويليها (ز ـ ص ـ ث ـ ذ ـ ش ـ ط ـ ف) .

٥ ـ الشين :

"وهو صوت رخو مهموس " [٤] .

٦ ـ الفاء:

" صوت شفوي أسناني ، وهو صوت رخو مهموس ، وهو يأتي نتيجة التقاء الأسنان العليا ، بالشفة السفلى ، فيحدث نوعاً من الحفيف " [٥] .

---

١ ـ د. أنيس : الأصوات اللغوية ، ص ٤٥ .

٢ ـ السابق : ص ٦١ .

٣ ـ السابق : ص ٧٦ .

٤ ـ السابق : ص ٧٦ .

٥ ـ السابق : ص٤٦ ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: لماذا كان مخرج الفاء من بين الأسنان العليا والشفة السفلى وليس العكس؟وأرى أن السبب في ذلك هو طول الفك الأعلى ، وقصر الفك الأسفل ، حيث إن الفم وهو في حالة انغلاق تكون الأسنان السفلى خلف الأسنان العليا ، وتكون الشفة السفلى قريبة جداً من الأسنان العليا ، ومن هنا نلاحظ أن البشر جميعاً قد مالوا إلى استخدام الأخف والأيسر على جهاز النطق .

٧ ـ الكـاف:

" هو صوت شديد مهموس" [١] .

٨ ـ الـلام :

هو من أوضح الأصوات الساكنة ، وتكون مرققة ومغلظة ، والأصل في اللام العربية الترقيق ، وهو حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ، ومجهور أيضاً " [٢] .

٩ ـ الميـم :

صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو بل هـو مـا يسـمى بـالأصوات المتوسطة ، وهو صوت (أنفي) يتكون بأن يمر الـهواء بـالحنجرة أولاً فيتذبـذب الوتران الصوتيان فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك ، فسد مجرى الفـم فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيـف لا يكـاد يسمع ، وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي ينطبق الشفتان تمام الانطباق"[٣].

١٠ ـ النـون :

لصوت النون صفة خاصة وهي أن الهواء حين النطق به يتخذ طريقه عـبر الأنف ، لذلك يقال عن النون إنه صوت مائع . ويتكون هذا الصـوت بوضـع ذلـق اللسان في التقاء محكم مع أصول الثنايا العليا عند مقدم اللثة ، فينخفض الطبق ، ويمنع الهواء الخارج من الرئتين من المرور عبر الفم فيمر عبر الأنف ، وعند النطـق بـه يتذبذب الوتران الصوتيان فهو صوت مجهور.

ويعرض للنون من الظواهر اللغوية ما لا يشركها فيه غيرها لكثرة تأثرها بما يجاورها من أصوات ... فهي مثلاً لا تتأثر إذا تلاها أحد الأصوات الحلقية حتـى وإن

---

[١] ـ السابق : ص ٨٣ .

[٢] ـ السابق : ٦٣ ـ ٦٥ (بتصرف) .

[٣] ـ السابق : ٤٥ ، ٤٦ .

كان متوسطاً بين الشدة والرخاوة كالعين في نحو " أنعمت " فتنطقها نوناً خالصة . ولكنها تدغم إدغاماً كاملاً في الراء واللام إذ تفنى فيهما نحو "من ربهم " ــ " فإن لم تفعلوا ". وتخفى إذا تلاها خمسة عشر صوتاً عند جمهور القراء هي (ق ــ ك ــ ج ــ ش ــ س ــ ص ــ ز ــ ض ــ د ــ ت ــ ط ــ ذ ــ ث ــ ظ ــ ف) [١] .

ولعل هذه الصفات الموجودة في النون من إدغام وإخفاء تارة ، وظهور تارة أخرى ، هي التي رشحتها أن تكون علامة الرفع في الأفعال الخمسة ، فتظهر النون في حالة الرفع ، وتحذف أو تختفي في حالتي النصب والجزم فيكون العمل من جنس الصفة الكائنة في الحرف .

١١ـ الهاء :

تتكون الهاء العربية عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة كالفتحة مثلاً ، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالخنجرة محدثاً صوتاً احتكاكياً يرفع الحنك اللين ، فلا يمر الهواء من الأنف ، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية ، فالهاء إذن صوت حنجري احتكاكي مهموس " [٢]

١٢ـ الواو :

هي من أنصاف أصوات اللين [٣] ، وعند نطق الواو" تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، وتضم الشفتان ، ويسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ، ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذن صوت صامت (أو نصف حركة) من أقصى اللسان مجهور

---

١ ــ سعد عبد الله الغريبي : الأصوات العربية ، مكتبو الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٤٧.

٢ ــ د. كمال محمد بشر : الأصوات العربية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠ ، ص ١٢٢ .

٣ ــ د. أنيس : الأصوات اللغوية ، ص ٤٥ .

نحو الواو في ولد ، ويمكن وصفه بأنه شفوي كذلك ؛ حيث إن الشفتين تنضمان عند النطق به " . [١]

١٣- ألف المد:

وقد عدها بعضهم همزة ولم يفرق بينهما ، ومن هؤلاء ابن هشام في كتابه المغني حيث يقول : " الألف أصل أدوات الاستفهام " [٢] جاء هذا الكلام في معرض حديثه عن الهمزة وأنواعها ، ولكنه عندما تحدث عن ألف المد قال:" حرف المد والمراد به هنا الحرف الهاوي الممتنع الابتداء به لكونه لا يقبل الحركة ... وابن جني يرى أن هذا الحرف اسمه لا ، وأنه الحرف الذي يذكر قبل الياء عند عد الحروف ، وأنه لما لم يكن أن يتلفظ به في أول اسمه كما فعل في أخواته إذ قيل صاد جيم ، توصل إليه باللام ، كما توصل إلى اللفظ بلام التعريف بالألف حين قيل في الابتداء الغلام ليتقارضا " . [٣]

"والهواء حال النطق بحروف المد الثلاثة (وهي الحركات الطويلة الثلاث) يمتد خلال مجراه ويستمر في الامتداد . لا يقطعه شيء ولا يمنع استمراره أي عارض ، ولا ينتهي هذا الهواء إلا بانتهاء نطق الصوت نفسه " [٤]

١٤- الياء :

تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة ، تاركة هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة . ويتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك ، وتنفرج الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف ، وتتذبذب الأوتار الصوتية ، فالياء صوت صامت

---

[١] ــ د. كمال بشر : الأصوات العربية ، ص ١٣٣ .

[٢] ــ ابن هشام : المغني ، مع حاشية الشيخ محمد الأمير ، دار إحياء الكتب العربية (د . ت) ١١/١ .

[٣] ــ السابق : ١/ ٣٩.

[٤] ــ د. كمال بشر : الأصوات العربية ، ص ٨٠ ,

(أو نصف حركة) حنكي وسيط مجهور نحو الياء في يترك ، والياء عند علماء العربية من وسط الحنك " . [١]

ونستطيع في ضوء ما سبق استخلاص النتائج التالية :

١ــ أن حروف المعاني البالغ عددها أربعة عشر حرفاً نصفها تماماً مجهور ، وهي حروف : (ب ــ ل ــ م ــ ن ــ ا ــ و ــ ي) والنصف الآخر ــ تقريباً ــ مهموس وهي حروف : (ت ــ س ــ ش ــ ف ــ ك ــ هـ) ، أما حرف الهمزة فهو ليس بمجهور ولا مهموس .

٢ــ حروف المعاني تميل إلى الرخاوة أكثر من ميلها إلى الشدة ؛ فقد جاء منها سبعة أحرف رخوة وهي حروف : (س ــ ش ــ ف ــ هـ ــ و ــ ا ــ ي) ، وأربعة أحرف شديدة وهي : (أ ــ ب ــ ت ــ ك) ، وثلاثة أحرف توسطت بين الشدة والرخاوة وهي : (ل ــ م ــ ن) . [٢]

وهنا نلاحظ أيضاً أن عدداً كبيراً من حروف المعاني هي من حروف اللين والتي قال عنها الدكتور أنيس:" لاحظ المحدثون أن الأصوات الساكنة على العموم أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين ، فأصوات اللين تسمع من مسافة عندها قد تخفى الأصوات الساكنة أو يخطأ في تمييزها " . [٣]

ولعل هذا الوضوح السمعي في حروف اللين هو الذي أهلها لأن تكون حروفاً للمعاني بجانب دورها الأصلي حروفاً من حروف المباني .

٣ــ نلاحظ أيضاً أن حروف الزيادة في الميزان الصرفي.وهي حروف (سألتمونيها) كلها من حروف المعاني الأحادية والتي قيل عنها إنها" أخف الحروف عندهم

---

[١] ــ السابق : ص ١٣٣ .

[٢] ــ د.أنيس : الأصوات اللغوية ، ص٦٥ وما بعدها .

[٣] ــ السابق : ص ٢٦ ــ ٢٧ .

٣ــ نلاحظ أيضاً أن حروف الزيادة في الميزان الصرفي وهي حروف (سألتمونيها) كلها من حروف المعاني الأحادية والتي قيل عنها إنها" أخف الحروف عندهم وأقلها كلفة عليهم الحروف التي زادوها على كلامهم ، وأكثر الحروف استعمالاً عند العرب : الواو والياء والهمزة ، وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الظاء " . (١)

٤ــ أن هناك عدداً كبيراً من حروف المعاني الأحادية قد ارتقى إلى درجة الأسماء ، وليس فقط إلى مجرد حروف ، هذه الأسماء عرفت في اللغة بالضمائر وهي حروف (التاء والكاف والنون والياء والواو والألف والياء) ، وهي جميعها من حروف المعاني الأحادية .

٥ــ أن حرف الشين ــ وإن كان يبدو أمام البعض أنه ليس حرفاً من حروف المعاني ــ يعد واحداً من حروف المعاني الأحادية ؛ حيث إنه له فائدة في إيضاح الكلمة وإبرازها في بعض اللهجات ، يقول ابن جني : " ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيناً حرصاً على البيان ؛ لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف ، فاحتاطوا للبيان بان أبدلوها شيناً فقالوا : عَلَيْشْ ، ومِنْشْ ، ومررت بِشْ ، ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً ، وأنشدوا للمجنون :

فَعَيْنَاشْ عيناها وجِيدُشْ جيدها سوى أن عظم الساق مِنْشْ دقيق " (٢)

---

١ ــ د. عادل خلف : أصوات اللغة العربية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٤ ، ص ٨١ .

٢ ــ ابن جني : سر الصناعة ، ٢٠٦/١ ــ ٢٠٧ ، والبيت في ديوان قيس من قصيدة بلغ عدد أبياتها ستة عشر بيتاً ومطلعها هو :

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من بين الوحوش صديق

الفصل الثاني

حروف المعاني الأحادية وأسباب الاختيار

يعرض ماريو باي وجهتي نظر مختلفتين لعلماء اللغة التاريخيين فيقول : " من السمات الواضحة لعلماء اللغة التاريخيين محاولتهم ربط التطور اللغوي بحادثة أو أخرى ، وإعطاؤهم صفة السببية والتأثير لظواهر ربما حدثت تلقائياً أو بمحض الصدفة . والآن فإن الاتجاه المعاكس الذي يحاول فصل التطور نهائيًا عن حياة الناس متكلمي اللغة يعد هو الآخر اتجاهاً غير مرغوب فيه إذ لا بد في كل الأمثلة من وجود علاقة التأثير والسببية بغض النظر عن نوعية هذا السبب أو المؤثر " . (١)

وهذا الكلام يوضح لنا بجلاء أن كل تطور لغوي في أي لغة لابد له من أسباب دفعت أصحاب تلك اللغة إلى هذا التغيير أو التطور في لغتهم .

"وإذا كنا نلاحظ أن جميع البشر يستعملون اللغة نظاماً صوتياً للتواصل فيما بينهم ؛ لأنهم يمتلكون نفس الجهاز الصوتي الذي يقوم بإنتاج أصوات إنسانية مشتركة نجدها في جميع اللغات مثل : الميم والباء والراء واللام والفاء والكاف والتاء والدال (٢) وغير ذلك من الأصوات إلا أن هذه الأصوات لا تتشابه في جميع اللغات تشابهاً تاماً من ناحية ، كما أن دلالة كل منها يختلف من لغة إلى أخرى من ناحية ثانية . هذا بالإضافة إلى أننا كثيراً ما نجد أصواتاً إنسانية لا تعد أصواتاً كلامية في بعض اللغات بينما تعد أصواتاً كلامية في بعضها الآخر ؛ ويعود السبب في ذلك إلى تواضع الجماعة اللغوية على كيفية تطويع الجهاز الكلامي للنطق بمجموعة محددة من الأصوات ذات سمات نطقية مميزة من ناحية ، وإلى ثقافة الجماعة التي توجه عملية

---

١ ــ ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص ٢٦٢ .

٢ ــ لاحظ أن معظم هذه الحروف هو من حروف المعاني الأحادية في اللغة العربية .

الاصطلاح conventionalty على ألفاظ اللغة بناء على خبراتها وتجاربها من ناحية أخرى ، ولهذا فإننا نجد العلاقة في كل لغة بين الألفاظ التي تتكون من هذه الأصوات الكلامية وما تشير إليه من دلالات مادية ومعنوية علاقة عشوائية أو اعتباطية تعود إلى اتفاق الجماعة وتواضعها ، ومن هنا كان اختلاف اللغات في تسمية الماديات والمعنويات " . (١)

هذا الكلام ــ وإن كان يعيدنا إلى مسألة تواضع اللغة ــ يضعنا أمام حقيقة أخرى وهي أن أبناء اللغة عندما اختاروا للمعاني ألفاظها ، وتواضعوا على ذلك كان هناك سبب ما دفعهم إلى هذا الاختيار ، وأن هذا السبب كان أحياناً العشوائية والاعتباطية . إلا أن هذه العشوائية والاعتباطية ــ وإن كانت تصدق على لغات كثيرة ــ تكاد تتلاشى في لغتنا العربية ، والدليل على ذلك هو ما ذكره ابن جني في كتبه حيث ساق " نظرية متكاملة للقيمة التعبيرية للصوت العربي ودلالته على المعنى إذ لم يكن اختيار الأصوات في الكلمات أمراً عشوائياً كما يقرر ذلك علم اللغة الحديث ، أو أن العلاقة بين الأصوات وما تعبر عنه علاقة اعتباطية . بل نجد ذلك في جزمه بعد أن تحدث عن حرف الراء في كلمة "جر" أن هذا الصوت أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها " . (٢)

والمتصفح لكتابه الخصائص يلاحظ أن ابن جني يلح على هذه الفكرة ، وهي أن اختيار ألفاظ معينة للدلالة على معان بعينها هو من أبرز خصائص العربية . ومن عباراته الدالة على ذلك قوله: " وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأصوات المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها " . (٣)

---

١ ــ د. كريم حسام الدين : الدلالة الصوتية ، ص١٦٦(بتصرف يسير) .

٢ ــ د. سعيد بن عبد الله الشهراني : (الصوت العربي وقيمته الدلالية عند ابن جني) حوليات دار العلوم العدد : ٢٤ ، مارس ١٩٩٩ ، ص ٢٣٥ .

٣ ــ ابن جني : الخصائص ، ٢/١٥٧ .

وفي الحديث عن قضم وخضم يقول ابن جني : " فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " . (١)

وقد سار على درب ابن جني بعض المحدثين فأضافوا أمثلة جديدة تؤكد نظريته وتزيدها وضوحاً ، ومن هؤلاء الأستاذ محمد عنبر الذي يدلل على أن كل حرف يحمل في طياته معناه إذ يقول : " وأما في الكلمة فإنك تجد كلمة (صف) مثلاً تتجه إلى التقارب في استواء ، في مثل قولهم : اصطف القوم : إذا اجتمعوا صفاً . كما يتجه زوجها القائم في ذاتها والمضاد لها مبنى ومعنى إلى الانفصال في تباعد من قولهم : انفص الشيء عن الشيء : انفصل عنه ؛ لأن معنى الاجتماع في (صف) راجع إلى فيزيائية الفاء المتضامة . فأنت لا تستطيع النطق بـ (اف) إلا إذا ضممت من شفتيك ، كما أن الانفصال في (فص) راجع إلى فيزيائية الصاد التي لا سبيل إلى النطق بـ (اص) إلا إذا فرج الناطق من فمه . ولما كانت الأمور بخواتيمها فإن هذين الحرفين جمعا وفصلا بهدى من فيزيائية الحركة فيهما " . (٢)

ويقول في موضع آخر : " إن معنى أي كلمة تحدده طبيعة الحروف وصفاتها المميزة لها أي تحدده تلك الوجهة الفطرية التي ذاقت فحا وطعم حروفها فاستعملتها في أصوات تجسد الفكرة عن الشيء الذي انفعلت به في الواقع الشاخص الماثل من جهة ، وتصور هذا الواقع الذي ترمز له وتدل عليه من جهة أخرى ، وكأنها تنقله بلحمه ودمه إلى صورة صوتية تماثله كمماثلة كل فعل لكل رد فعل ناشئ عنه " . (٣)

ويقول آخر : " ورشف الماء وغيره من السوائل يولد صوتاً مركباً من جروس لا تخفى على أي مرتشف ، إنها جروس الشين والراء والفاء أو الباء وهي

---

١ ــ السابق : ١٥٨/٢ .

٢ ــ محمد عنبر : جدلية الحرف العربي ، ص ٧٨ .

٣ ــ السابق : ص ٥٥ .

أصوات الحروف الداخلة في تركيب (رشف) و(شرف) و(شرب) " [١] ، وتحدث عن الشهيق وأوجد علاقة بينه وبين صفة الشاهق التي تقال للجبل ، وقال : إن وجه الشبه بينهما هو العلو والارتفاع في الصدر والرأس للإنسان أثناء الشهيق ثم استعيرت للجبل ، وساق في كتابه أمثلة أخرى عديدة توضح تلك العلاقة بين اللفظ والمعنى وتثبت أن العربية قد اختارت تلك الألفاظ بدقة وبوعي كبير يتناسب فيه الداخلي مع الخارجي " . [٢]

وقد تحدث الدكتور عبد الرحمن أيوب عن الخصائص المميزة لكل حرف من حروف اللغة وشبه هذه الحروف بالحجارة التي يقذفها الصبيان فقال : " كثيراً ما نشاهد الأطفال يتبارون في قذف الحجارة فنلاحظ أن أحدهم يقذف بحجره إلى مسافة أبعد مما يقذف إليها سواه بحجره.والأصوات الإنسانية يمكن تشبيهها بهذه الحجارة ، بعضها أقدر على بلوغ مسافة أبعد مما يستطيع بعضها الآخر أن يبلغ ، ولو أردنا تعليل بلوغ أحد الحجارة مسافة لا يبلغها سواه من الأحجار ، لوجدنا العلة كامنة في عوامل عديدة ، كقوة الشخص الذي يرمي الحجر ، ووزن الحجر نفسه ، ومقدار ما يتعرض له من مقاومة الهواء ، والزاوية التي يقذف بها إلى غير ذلك . ويمكن أن نتعرف على السر في قوة انتقال صوت من الأصوات وضعف انتقال صوت آخر ، ونجد ذلك متمثلاً في عوامل كثيرة كقوة الدفع التي ينطلق بها الهواء عند إنتاج الصوت وطبيعة الصوت نفسه " . [٣]

وهذا يعني أن ابن اللغة تدفعه عوامل جمة عند اختيار حرف ما لأداء معنى معين ومن هذه العوامل ما يأتي :

---

[١] ـــ نعيم علوية : نحو الصوت ونحو المعنى ، ص ٤٩ .

[٢] ـــ السابق : ص ٥١ وما بعدها .

[٣] ـــ د. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٣٤ .

١- **عامل السهولة والتخفيف :**

يقول الرضي : " اللفظ إذا خف كثر استعماله ، واتسع التصرف فيه " . (١)

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب : " تميل اللغة في تطورها نحو السهولة والتيسير فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة وتستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً " (٢) . ويقول غيره : "وتثقل بعض الأصوات أكثر من سواها ، وهو ما حدا بالمتحدثين بها أن يتخففوا في شيء من نطقهم بها " . (٣)

ولقد " كان اللغوي الأمريكي whitney يفسر التغير الذي يحدث في اللغات بنزوعها نحو السهولة وتوفير الجهد ؛ ولذا فهو يقول : كل ما نكتشفه من تطور في اللغة ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق " (٤) . ويقول الدكتور أحمد مختار مؤيدا الميل إلى استخدام الجهد الأقل في اللغات : " وفي رأينا أنه مهما أنكر المنكرون فسيظل هذا العامل (الجهد الأقل) بارزاً بين العوامل التي تؤثر في تطور اللغات وإن كنا لا نزعم أنه العامل الوحيد " (٥) .

ويقول أيضاً : " ويلاحظ أن الدال والتاء أختان ، ويفرق بينهما جهر الأولى وهمس الثانية ... وأن التاء والطاء أختان ، ويفرق بينهما ترقيق الأولى وتفخيم الثانية،

---

١ ــ رضي الدين الإستراباذي : شرح الشافية ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ٧٠/١ ، وانظر لابن يعيش شرح المفصل ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ١٥٨/٨ .

٢ ــ د. رمضان عبد التواب : (التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير) ، مجلة المجمع ، القاهرة ، ج٣٦ ، ١٩٧٥، ص ١٩٦ .

٣ ــ د. محي الدين رمضان : في صوتيات العربية ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ط١، ١٩٧٩ ، ص ٢٠١.

٤ ــ د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، ص٣٧٤ .

٥ ــ السابق : ص ٣٩٣ .

وأن السين والزاي أختان ، ويفرق بينهما همس الأولى وجهر الثانية ، وأن السين والصاد أختان ، ويفرق بينهما ترقيق الأولى وتفخيم الثانية " [١] .

وهنا نلاحظ أن اختيار اللغة لحروف المعاني الأحادية قد مال إلى السهولة واليسر ، والهمس والترقيق ؛ فعندما تشابه الحرفان الدال والتاء ، اختارت اللغة التاء حرفاً من حروف المعاني وهجرت الدال ؛ وذلك لهمس الأولى وجهر الثانية ، وتركت الطاء وأخذت التاء ؛ لتفخيم الأولى وترقيق الثانية ، كما تركت الصاد وأخذت السين للسبب نفسه ؛ ولعل السبب في ذلك كثرة استعمال حروف المعاني ، وكثرة تحملها معاني لا تؤدى إلا بها ؛ لذا مالت اللغة إلى استخدام الأخف والأيسر على جهاز النطق .

وبسبب ما تقدم فإن البحث لا يتفق مع ما ذكره أستاذنا الدكتور أحمد مختار عمر في موضع آخر من كتابه القيم ــ دراسة الصوت اللغوي ــ عندما قال : " لا يوجد في اللغة العربية اتجاه نحو المهموس على عكس كثير من اللغات " [٢] . إذ إنه قد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن العربية في كثير من الأوقات قد مالت إلى الهمس على حساب الجهر ولا سيما في حروف المعاني .

٢- <u>البعد عن التفخيم</u> :

الأصوات المفخمة في العربية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

الأول : أصوات كاملة التفخيم وهي الصاد والضاد والطاء والظاء واللام المفخمة .

الثاني : أصوات ذات تفخيم جزئي وهي الخاء والغين والقاف .

الثالث : صوت يفخم في مواقع ، ويرقق في مواقع وهو الراء . [٣]

---

[١] ــ السابق : ص ٣١٦ .

[٢] ــ السابق : ص ٣٩٨ .

[٣] ــ السابق : ص ٣٩٨ (بتصرف يسير) .

وهنا نلاحظ أن هذه الأصوات التسعة ــ باستثناء اللام ــ لم تستعملها اللغة في حروف المعاني الأحادية ، حتى اللام التي تستعمل في حروف المعاني تميل غالباً إلى الترقيق ؛ وذلك لأن هذه الحروف عادة يجب أن يتوافر فيها عنصر السهولة ببعدها عن التفخيم .

٣- **البعد عن التكرار والتركيب :**

مقارناً بين اللام والراء يقول الدكتور أحمد مختار عمر : " اللام والراء من مخرج واحد ، وكلاهما من النوع المجهور ، ولكن تتميز الراء بأنها صوت مكرر ، يضرب اللسان معه في اللثة ضربات متتالية ، مما يجعله صوتاً مركباً بالنسبة لصوت اللام . وبإحصاء عدد كل من اللامات والراءات في السور العشر الأولى من القرآن الكريم نجد نسبة اللام إلى الراء (٧ : ٢) " [١] .

وتحدث الدكتور داود عبده عن التكرار فقال : " ويسمى أيضاً التردد ، وهو سمة يتصف بها صوت واحد هو الراء . وسميت الراء صوتاً تكرارياً trill لأن طرف اللسان يضرب أصول الأسنان العليا أو اللثة ضربات متكررة عند نطقها ، ويمكن أن يستعاض عن سمة التكرار بسمة الرنين sonorant كاللام والميم والنون ... أما ما يميز الراء عن اللام وهي أيضاً صوت رنيني ، إذا استغني عن سمة التكرار ، فهو الجانبية التي تتصف بها اللام " [٢] .

وهذا يؤكد لنا أن ترك اللغة للراء وأخذ سمياتها (اللام والميم والنون) في كثير من الصفات حروفاً للمعاني كان سببه البعد عن التكرار الكائن في الراء .

---

[١] ــ السابق : ص ٣٩٦ .

[٢] ــ د. داود عبده:دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ، العربي للنشر ، لندن ، ط ١ ، ١٩٩٠، ص ١٣ .

٤- البعد عن التطرف وتدخل العوامل الثانوية :

يقول الدكتور أحمد مختار مقارناً بين الكاف والقاف : " تعد الكاف أيسر نطقاً من القاف من ناحيتي مخرجها وعدم تدخل مؤخر اللسان ــ بحركة ثانوية ــ في أثناء نطقها ، أما القاف فمخرجها متطرف من ناحية ، ونطقها يصحب بحركة ثانوية لمؤخر اللسان من ناحية أخرى ، مما يكسبه بعض القيمة التفخيمية ، وبإحصاء عدد كل من الكافات والقافات في السور العشر الأولى من القرآن الكريم نجد عدد الكافات حوالي ٤٠٠٠ وعدد القافات حوالي ٢٥٠٠ بنسبة (٥:٨) " . [١]

ومن هنا ، ولتلك الأسباب سالفة الذكر ، جاءت الكاف حرفاً من حروف المعاني على حين تركت القاف ؛ وهو اختيار أملاه صفاء الكاف ووضوحها ونطقها بأعضاء أقل في الجهاز النطقي من سميتها القاف ، التي اتسمت بالتطرف والتفخيم وتدخل مؤخر اللسان بحركة ثانوية أثناء نطقها .

والواقع أن التطورات اللغوية تخضع لعوامل أخرى أكثر تعقيداً من مجرد رغبة المتحدثين بها في بذل جهد أقل حتى يوفروا على أنفسهم بعض المشقة والعناء ، والعجيب في الأمر أن حروف المعاني لم يتم استخدامها في اللغة بسبب الميل دائماً إلى التخفيف ، بل إن العربية قد مالت أحياناً إلى اختيار الصعب مثل الهمزة والهاء ؛ ولعل السبب في هذا الاختيار هو التعبير عن المعاني الصعبة ، والتي تحتاج إلى جهد وشدة ، كالتعدية والاستفهام والتأوه والنداء وغير ذلك ، وهنا يصبح هذا الاختيار أيضاً اختياراً موفقاً ، ناسب فيه مسموع الأصوات محسوس الأحداث ، كما قال ابن جني ، وبالرغم من ذلك فقد مالت العربية في بعض من لهجاتها إلى تخفيف الهمزة ، وإلى قلبها حرفاً من حروف العلة ، بل أحياناً إلى حذفها والتخلص منها .

---

[١] ــ د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، ص ٣٩٧ .

وقد قسم الدكتور مختار أصوات اللغة إلى قسمين : أصوات أفقية تمتد مخارجها من الشفتين إلى اللهاة وهي جميع أصوات اللغة ما عدا (الحاء والعين والهمزة والهاء) وهي التي تنتمي إلى القسم الثاني وهو الأصوات الرأسية ثم قال : " وتعد الأصوات الرأسية أصعب الأصوات في مجال الفحص " . (١)

٥ - القوة والوضوح :

من العوامل التي رشحت حروف المعاني الأحادية لمهامها اللغوية التي تقوم بها عامل القوة والوضوح السمعي ، يقول الدكتور كريم حسام الدين : " وقد لاحظ المهتمون بالتحليل اللغوي أن الأصوات الصامتة أقل وضوحاً في السمع من الأصوات الصائتة ... وكما تتميز الصوائت بالوضوح السمعي عن الصوامت لاحظ المهتمون بالتحليل اللغوي أيضاً أن الأصوات الصائتة تختلف في نسبة الوضوح السمعي فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة ، والكسرة أوضح من الضمة (٢) ، كما لاحظوا أيضاً أن بعض الأصوات تعتبر أكثر وضوحاً من غيرها ، وهذه الصوامت هي اللام والميم والنون ، ولهذا قد سميت بأشباه الصوامت " . (٣)

ويقول الدكتور أيوب متحدثاً عن حروف العلة : " وهذه أقوى الأصوات سماعاً ، وهي الأصوات المجهورة التي يخرج الهواء عند النطق بها من الفم دون أن

---

١ ــ السابق : ص ٣١٩ .

٢ ــ وهو ما يوضح لنا السبب في غلبة الفتحة في حروف المعاني كحركة همزة الاستفهام وتاء القسم وسين الإستقبال وفاء العطف وكاف التشبيه ولام القسم وميم اسمي الزمان والمكان ونون جمع المذكر السالم ونون النسوة وهاء التنبيه وواو العطف وياء المضارعة . وفي المرتبة الثانية تأتي الكسرة في باء الجر ولامه ونون المثنى وميم اسم الآلة . أما الضمة فقد ندر استخدامها في حروف المعاني الأحادية كضم تاء المتكلم وضم حروف المضارعة في الأفعال الرباعية .

٣ ــ د. كريم حسام الدين : الدلالة الصوتية ، ص ١٧٤ .

تعترضه أعضاء النطق العليا على الإطلاق أو مع اعتراضها اعتراضاً لا يؤدي إلى حدوث احتكاك مسموع " . [١]

وحروف العلة الثلاثة كلها من حروف المعاني الأحادية ، ويقول ماريو باي : " وأصوات العلة vowel sounds تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع ، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك ... وعند إنتاج أصوات العلة ينفتح الفراغ الفموي بوجه عام ويكون حراً من العقبات بالقياس إليه عند إنتاج الأصوات الساكنة " . [٢]

ومن حروف المعاني الأحادية أيضاً التي تتسم بالوضوح ما أسماه بعض اللغويين بالأصوات شبه الصائتة وهي (اللام والميم والنون) و" الأصوات شبه الصائتة semi vowels أي التي أشبهت الأصوات الصائتة في الوضوح السمعي وهي اللام والميم والنون ، وقد ذهبنا إلى أن هذا الوضوح قد يكون الدافع وراء استعمال الجماعة العربية للتنوين ــ وهو عبارة عن نون ساكنة ــ قيمة صوتية للتفرقة بين التنكير والتعريف في العربية على المستوى الصرفي ، كما يقوم بوظيفة الاقتصاد والاختزال الكلامي على المستوى التركيبي ، هذا إلى جانب استعمال اللام أداة للتعريف ، واستعمال الميم وحدة صرفية متعددة الدلالة ، فهي تدل على اسم الآلة تارة ، واسم المكان تارة ثانية ، واسم المفعول تارة ثالثة " . [٣]

ولقد رتب الدكتور أيوب الحروف حسب قوتها فجاء ترتيبه لها على النحو التالي :

١ــ حروف العلة أقوى الأصوات سماعاً (الألف ، الواو ، والياء) .

٢ــ حروف (اللام والميم والنون) تليها في القوة .

---

[١] ــ د. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٣٦ .

[٢] ــ ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

[٣] ــ د. كريم حسام الدين : الدلالة الصوتية ، ص ٢٣ .

٣ــ حروف (الفاء والسين والهاء) تأتي في المرتبة الثالثة .

٤ــ ويأتي في المرحلة الرابعة (الباء) .

٥ــ ويأتي في المرحلة الخامسة (الكاف) [١] .

وهنا نلاحظ أن أقوى الحروف في العربية هي التي أريد لها أن تكون حروفاً للمعاني الأحادية بجانب دورها الطبيعي في إقامة المباني ، ولم يتحدث الدكتور أيوب عن حروف (التاء والشين والهمزة) .

٦- **التناسب مع جميع الحروف :**

وهذا العامل بالذات يتوافر أكثر في حرف اللام الذي تتعدد مخارجه ويتلون حسب الحرف الداخل عليه ، وهو حر الحركة يتقدم الفم ويتوسطه ، بل يتأخر أحياناً إلى الداخل ، وقد ضرب ماريو باي أمثلة على ذلك فقال: " إذا كانت نقطة الانغلاق (الناتجة عن رفع اللسان) متقدمة جداً في الفم نتج ما يمكن أن يسمى اللام المائعة الموجودة في million وإذا تأخرت إلى وسط الفم نتجت اللام في lamb وإذا تأخرت أكثر نحو الخلف نتجت اللام في milk وعلى هذا يمكن أن تنتج صوتاً جانبياً أمامياً أو متوسطاً أو خلفياً . وكل هذه الأصوات تصحبها ذبذبة في الأوتار الصوتية فهي مجهورة في الإنجليزية وكثير من اللغات " [٢] .

وقد استشعر اعتراضاً على التمثيل بأمثلة أجنبية فقال : " ولعل سائلاً يقول : ما بالك تمثل بأمثلة أجنبية وموضوع البحث عن الحروف العربية ؟ ثم عاد فأجاب عن التساؤل قائلاً :

---

١ ــ د. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، ص ١٣٦ (بتصرف يسير) .

٢ ــ ماريو باي : أسس علم اللغة ، ص ٨٦ .

" ومن حسن الحظ أن اللغات السامية لا تختلف كثيراً جداً في تركيبها عن اللغات الهندية الأوربية " [١] ، ولعل هذا السبب هو الذي جعل اللغة تخصص اللام أداة للتعريف حيث إنها تتناسب وتتكيف مع سائر الحروف الداخلة عليها .

هذه هي الأسباب التي توصلت إليها ، أو العوامل التي أدت من وجهة نظري إلى اختيار حروف المعاني الأحادية في اللغة العربية دون غيرها من حروف اللغة للقيام بالوظيفة المنوطة بها .

[١] ـ السابق : ص ٢٢٧ .

الفصل الثالث

حروف المعاني ودورها في النحو والدلالة

حروف المعاني الأحادية في الكلمة والجملة :

تتغلغل الأدوات في نسيج الكلم العربي على مستوى الكلمة وعلى مستوى الجملة ؛ أما في الكلمة فيتحدث ابن جني عن وزن " استفعل " فيقول : " جاءت الهمزة والسين والتاء زوائد ثم وردت بعدها الأصول : الفاء والعين واللام ، فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك ، وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأني لوقوعه تقدمة ، ثم وقعت الإجابة إليه فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه . فكما تبعت أفعالُ الإجابة أفعالَ الطلب ، كذلك تبعت حروفُ الأصول الحروفَ الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة " [١] .

فابن جني هنا يرى أن تلك الحروف وهي الألف والسين والتاء وكلها من حروف المعاني الأحادية قد أدت دور التوطئة والتمهيد للأصول على غرار ما يحدث في واقع الناس من التقديم الحسن الذي يسبق طلب الشئ .

ويؤكد الدكتور تمام على أن الحرف مفرداً يحمل جرثومة المعنى وقد ضرب على ذلك مثلاً بكلمة (قاعد) التي هي اسم فاعل من الفعل (قعد) فإذا أضفنا إليها ميماً في أولها تحولت إلى (مقاعد) جمع (مقعد) وهذا التغير الدلالي الكبير سببه الميم "ومثل الاستبدال في تغيير معنى الكلمة وإثبات قدرة الحرف على حمل جرثومة المعنى مثل عمليتي الإضافة والاستخراج فإذا أضفنا الميم في أول كلمة (قاعد) تغير المعنى وأصبحت الكلمة (مقاعد) وأصبح للميم معنى من حيث إنها جلبت إلى الكلمة معنى جديداً " [٢] .

---

[١] ــ ابن جني : الخصائص ، ١٥٤/٢ .

[٢] ــ د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٧٧ .

وأما على مستوى الجملة فيقول الدكتور تمام : " الأداة مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق ... والتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى ، فإذا استثنينا جملتي الإثبات والأمر بالصيغة (قام زيد ، زيد قام ، وقم) وكذلك بعض جمل الإفصاح ، فإننا سنجد كل جملة في اللغة الفصحى على الإطلاق تتكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة ... وتشترك الأدوات جميعاً في أنها لا تدل على معان معجمية ولكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق ، ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة كالنفي والتأكيد وهلم جراً ، حيث تكون هي العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلها حتى يمكن للأداة عند حذف الجملة أن تؤدي المعنى كاملاً كالذي نراه في عبارات مثل (لم) (عمّ) (متى) (أين) (ربما) (وإن) (لعل) (ليت) (لو) ... إلخ ، فيكون المعنى الذي تدل عليه هذه الأدوات هو معنى الجملة كاملة وتحدده القرينة بالطبع " [١] .

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن الأدوات "هي الموجه الحقيقي للمعنى في الجملة ووسيلة الربط بين أطرافها. وأن الأسماء والأفعال عناصر لغوية بمثابة اللبنات المفككة المرصوصة ، لا يجعلها حائطاً مبنياً إلا هذه الأدوات التي تربط اللبنة إلى أختها ، وتقرنها إلى مناسبتها ؛ ولذلك كان دور الأدوات أخطر الأدوار لأنه هو الذي يكون اللغة " [٢] .

ويقول أبو المحاسن المهلبي تحت عنوان أقسام ما جاءت له الحروف :

تفطن فإن الحرف يأتي لستة ... لنقل وتخصيص وربط وتعدية
وقد زيد في بعض المواضع واغتدى ... جواباً كسيت العز والأمن تزدية

---

[١] ــ السابق : ص١٢٣ــ١٢٥(بتصرف)

[٢] ــ د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، القاهرة ،ط٢، ١٩٨٦،ص٩٢

ثم قال شارحاً للنظم السابق : " ... وأما التخصيص : فأن تنقل الفعل الحاضر من اشتراكه مع المستقبل فتقول : سوف يقوم ، أو سيقوم ، فتنقله إلى الاستقبال المحض . وأما الربط : فأن تربط الفعل بالاسم كقوله تعالى : " إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن " [١] أي وقابضات ، والاسم بالفعل كقولك : مررت بزيد ، والاسم بالاسم كقولك : قام زيد وعمرو ، والفعل بالفعل كقولك: قام وقعد ، والجملة بالجملة كقولك: زيد قائم ومحمد راكب " [٢] .

أثر حروف المعاني بعضها في بعض :

قد يدخل الحرف على الحرف فيكفه عن العمل ، وذلك نحو دخول (ما) على (إنّ) وعلى (رب) وكاف التشبيه ، والفعل (قلّ) لإرادة النفي ، وقد يدخل الحرف على الحرف فيحوله من حرف غير عامل إلى حرف عامل ، وذلك نحو دخول (ما) على (إذ) و(حيث) حيث كانا غير عاملين ، ولكنهما أصبحا عاملين بدخول (ما) عليهما ، حيث أصبحتا من أدوات الشرط الجازمة ؛ لذلك فإن الأداة (ما) تعد من الأدوات الغريبة في اللغة حيث تجعل بعض الأدوات غير العاملة عاملة بدخولها عليها ، وتسلب العاملة عملها [٣] .

الحذف في حروف المعاني :

هل من الممكن أن تسقط حروف المعاني من الكلام ويبقى أثرها مفهوماً من السياق وتدخل تحت قول ابن مالك : وحذف ما يعلم جائز ... ؟

---

١ ــ سورة الملك : من الآية ١٩ .

٢ ــ أبو المحاسن المهلبي : نظم الفرائد وحصر الشرائد ، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٩٨٦، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

٣ ــ انظر ما كتبه المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني ، ص٣٣٣ ــ ٣٣٦ .

يقول الدكتور تمام : " يسقط حرف النداء ويبقى النداء مفهوماً بواسطة قرائن أخرى ، ويسقط حرف العطف ويبقى العطف مفهوماً بقرينة النغمة كقولك : يستمر الامتحان في الأيام التالية : السبت الأحد الاثنين الثلاثاء إلخ ... وقد تسقط رب ويفهم معناها لإغناء الواو عنها ، أي أن قرينة التضام (بين الواو ورب) قد أغنت عن قرينة الأداة ، وقد ينزع الخافض ويبقى المعنى مفهوماً " [١] .

وحذف نون كان من بنية الكلمة جائز مشهور عندما تكون مضارعة مجزومة غير موقوف عليها ، ولا متصلة بضمير نصب ولا بساكن ، وعندئذ تحذف الواو أيضاً لالتقاء الساكنين ، وهما حرفان من حروف المعاني الأحادية ، وذلك نحو قوله تعالى : " وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً " [٢] ، فلما توافرت الشروط الخمسة حذفت النون وحذفت بدورها الواو " [٣] .

وقال ابن هشام متحدثاً عن جواز حذف الفاء : " إن الفاء قد تحذف للضرورة، كقوله : مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا ، وعن المبرد أنه منع ذلك حتى في الشعر ، وزعم أن الرواية: من يفعل الخير فالرحمن يشكره . وعن الأخفش أن ذلك واقع في النثر الفصيح وأن منه قوله تعالى : " إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ " [٤] ... وقال ابن مالك : يجوز في النثر نادراً ومنه حديث اللقطة : " فإن جاء صاحبُها وإلا استمتعْ

---

[١] ـ د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٣٩ والبيت .

[٢] ـ سورة : مريم ، من الآية : ٢٠ ، كما تحذف نون الرفع أو نون الوقاية على خلاف في ذلك من نحو : تأمرانني ، انظر للدكتور محمد الطويل كتابه القيم من ملامح الإبداع النحوي عند أبي العلاء المعري ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٠، ص ٧٣ .

[٣] ـ ابن هشام : قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ١٣٨ (بتصرف) .

[٤] ـ سورة : البقرة ، من الآية : ١٨٠ .

مالك : يجوز في النثر نادراً ومنه حديث اللقطة : " فإن جاء صاحبُـــها وإلا اســتمتعْ بها " (١) .

المعاني النحوية والدلالية لحروف المعاني :

كل حرف من حروف المعاني الأحادية له وظيفة نحوية أو دلالية يؤديها فـــي الجملة العربية ، وإذا أردنا أن نفرق بين الأمرين فإننا نلاحظ أن الباء مثلاً تقوم بجـــر الأسماء بعدها وتصبح علامة الجر ظاهرة أو مقدرة ، وهي أيضاً لها معنـــى دلالـــي يحدده السياق كالسببية والإلصاق والمصاحبة إلخ . أما همزة الاستفهام فمعناها دلالـــي فقط ، وهو إفادة الاستفهام ، ولا يترتب على هذا الاستفهام بالهمزة أي أثر إعرابـــي، وسوف يعرض البحث الآن لحروف المعاني الأحادية الأربعة عشر دلالياً ونحوياً.

١ - الهمـــزة :

تأتي على وجهين ، حرف نداء للقريب ، والاستفهام . والاستفهام قد يخـــرج عن معناه الحقيقي الذي هو طلب الفهم نحو : أزيد قائم ، إلى معان بلاغية أخرى نحـو التسوية،والإنكار الإبطائي ، والإنكار التوبيخي ، والتقريـــر ، والتـــهكم ، والأمـــر ، والتعجب ، والاستبطاء " (٢) .

٢ - البـــاء :

" الباء المفردة حرف جر لأربعة عشر معنى :

أولها : الإلصاق ... كأمسكت بزيد .

الثاني : التعدية ، وتسمى باء النقل نحو : ذهبت بزيد .

---

١ ـــ ابن هشام : المغني ، ١٤١/١ .

٢ـــ السابق : ٩/١ ـــ ١٧ .

الثالث : الاستعانة ، نحو : كتبت بالقلم .

الرابع : السببية ، نحو : " ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ " [١] .

الخامس : المصاحبة ، نحو : " اهْبِطْ بِسَلامٍ " [٢] .

السادس : الظرفية ، نحو : "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ " [٣] .

السابع : البدل ، نحو: فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قَوْماً إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا الإغارَةَ فُرْسَاناً وَرُكْبَاناً .

الثامن : المقابلة ، نحو : اشتريته بألف .

التاسع : المجاوزة ، نحو : " فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً " . وهي بمعنى عن .

العاشر : الاستعلاء ، وهي بمعنى على نحو : " وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ " .

الحادي عشر : التبعيض وهي بمعنى من نحو : " عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ " .

الثاني عشر : القسم ، نحو : أقسم بالله لتفعلن .

الثالث عشر : الغاية ، نحو : "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي " وهي بمعنى إلى .

الرابع عشر: التوكيد ، وهي الزائدة ، وزيادتها في ستة مواضع ، نحو : " وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ " ، بِحَسْبِكَ دِرْهَمٌ ، ليس زيد بقائم ، فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابُ ، يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ " . [٤]

وقد نظم بعض النحاة هذه المواضع في أبيات فقال :

" قَدْ زِيدَتِ الباءُ في خَمْسٍ : فَمُبْتَدَأٌ وَمَا يَلِيهِ وَفِي المفعولِ والخبرِ

لِمَا وَلَيْسَ إذا أُكِّدتَ نَفْيَهُمَا وفَاعلٍ لِكَفَى في مُحْكَمِ الزُّبُرِ " [٥]

---

[١] ــ سورة البقرة ، من الآية : ٥٤ .

[٢] ــ سورة هود، من الآية : ٤٨ .

[٣] ــ سورة آل عمران ، من الآية ١٢٣:

[٤] ــ ابن هشام : المغني ، ١/٩٥ــ١٠٣ (بتصرف)

[٥] ــ أبو المحاسن المهلبي : نظم الفرائد وحصر الشرائد ، ٢٤٠،٢٤١

٣- التـــاء :

ذهب بعض النحاة إلى أن الباء أصل حروف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجب " [١] .

وتأتي التاء حرفاً من حروف المعاني قبل لفظ الجلالة ، وتدل على القسم ، نحو : تالله لأفعلن كذا . كما تقع التاء في أول المضارع مفتوحة للخطاب بأنواعه في غير الثلاثي ومضمومة في الرباعي ، وتكون كذلك للمفردة المؤنثة الغائبة . وتأتي في آخر الأفعال الماضية فتتحول من مجرد حرف إلى رتبة الاسم ، فتحل محل أنا مضمومة وأنتَ مفتوحة وأنتِ مكسورة ، وتزاد عليها بعض حروف المعاني الأخرى فتدل على أنتما ، وأنتم ، وأنتن . وتقع التاء الساكنة في نهاية الماضي فتنبئ بأن الفاعل مؤنث نحو : قامتْ فاطمة ، وقد ذهب البعض إلى أن التاء المفتوحة في الضمير أنتَ ، والمكسورة في أنتِ هي حروف خطاب ، وأن الضمير هو الحرفان قبلهما [٢] .

٤- الســـين :

قال عنها ابن هشام : " حرف يختص بالمضارع ، ويخلصه للاستقبال ، ويتنزل منه منزلة الجزء ، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به ...ويعني قول المعربين فيها حرف تنفيس: حرف توسيع ؛ وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق وهو الحال ، إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال " . [٣]

---

١ ــ ابن هشام : المغني ، ١٠٦/١ (بتصرف)

٢ ــ أبو الفداء : الكناش ، تحقيق د. على الكبيسي وآخر ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، الدوحة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٧٦ .

٣ ــ ابن هشام : المغني ، ١٢٢/١ .

وقال سيبويه : " وزعم الخليل أنها جواب لن يفعل " [١] فالسين حرفاً من حروف المعاني تتصدر الفعل المضارع ، وتخرجه من الدلالة على الحال إلى الدلالة على الاستقبال فيكون هذا الاستقبال مثبتاً ، وهو بدوره ضد النفي في المستقبل الذي هو : لن يفعل .

٥ - الشين :

تأتي الشين حرفاً من حروف المعاني للدلالة على المفردة المؤنثة المخاطبة بدلاً من الكاف في لهجة تميم وأسد .

وقد علل سيبويه لاختيار الشين بالذات بدلاً من الكاف فقال : " وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف ؛ لأنها ساكنة في الوقف ، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث ، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل ؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة ، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف ، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا : ذهبوا وذهبن ، وأنتم وانتن ، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها ، لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة ... وذلك قولك إنّشِ ذاهبة ، وما لشِ ذاهبة ، تريد إنكِ ومالكِ " . [٢]

٦- الفاء :

من الحروف التي تدخل الجملة العربية لمعان كثيرة فهي عاطفة أو رابطة لجواب الشرط بجملة الشرط ، وقد تكون زائدة ، وقد اختلف في كونها عاملة ؛ فرأى الكوفيون أنها تنصب المضارع بنفسها . ورأى البصريون أنها تنصب المضارع بأن مضمرة ، وللمبرد رأي آخر وهو أنها تخفض .

---

[١] ــ سيبويه : الكتاب ، ٢١٧/٤ .

[٢] ــ السابق: ١٩٩/٤

وترد فاء السببية بعد التمني والعرض والنفي والنهي والأمر والظن والشرط ، ولا ترد بعد الواجب إلا في الضرورة . [١]

وعن الفاء قال ابن هشام : "وترد على ثلاثة أوجه : أحدها أن تكون عاطفة وتفيد ثلاثة أمور :

أحدها : الترتيب وهو نوعان : معنوي ، كما في : قام زيد فعمرو . وذكري ، وهو عطف مفصل على مجمل ، نحو : " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه "[٢]

الأمر الثاني : التعقيب : وهو في كل شيء بحسبه ، ألا ترى أنه يقال : تزوج فلان فولد له ، إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل وإن كانت متطاولة ...

الأمر الثالث : السببية : وذلك غالب في العاطفة جملة أو صفة .

والثاني من أوجه الفاء أن تكون رابطة للجواب ، وذلك حيث لا يصلح لأن يكون شرطاً وهو منحصر في ست مسائل:

إحداها : أن يكون الجواب جملة اسمية .

الثانية : أن تكون فعلية كالاسمية وهي التي فعلها جامد .

الثالثة : أن يكون فعلها إنشائياً نحو : "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ " [٣]

---

١ ــ السابق : ٣/٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٧.

٢ ــ البقرة : من الآية ٣٦ .

٣ ــ آل عمران : من الآية ٣١.

الرابعة : أن يكون فعلها ماضياً لفظاً ومعنى،حقيقة نحو: "إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَـــهُ مِنْ قَبْلُ " [١] وإما مجازاً نحو : "وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ " [٢] ..

الخامسة : أن تقترن بحرف استقبال ، نحو: "مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَـــأْتِ اللهُ بِقَوْمٍ " . [٣]

السادسة : أن تقترن بحرف له الصدر كقوله :

فَإِنْ أَهْلِكْ فَذِي لَهَبٍ لَظَاهُ عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ الْتِهَابَا . [٤]

لما عرفت من أن رب مقدرة ، وأنها لها الصدر.

الثالث : أن تكون زائدة ودخولها في الكلام كخروجها " . [٥]

وقد ذهب البعض إلى أن الفاء الواقعة في جواب الشرط ليست أكثر من رابـط إيقاعي وهي بذلك تختلف عن الروابط الدلالية كحروف العطف أو واو الحال " . [٦]

---

[١] ـــ يوسف : من الآية ٧٧ .

[٢] ـــ النمل : من الآية : ٩٠

[٣] ـــ المائدة : من الآية : ٥٤ ؟

[٤] ـــ البيت لربيعة بن مقروم الضبي ، وهو من بحر الوافر ، والشاهد فيه جر كلمة ذي برب مضمرة بعد الفـــاء ، وقد روي بحنق بدلاً من بلهب ، وتكاد تلتهب بدلاً من يكاد يلتهب ، وهو الشاهد رقم (٨٠٦) في خزانـة الأدب، للبغدادي ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ٢٦/١٠ ، وفي أمالي ابن الشـــجري ، تحقيـق د. محمود الطناحي ، ٢١٧/١ ، وفي المغني ١٤١/١ .

[٥] ـــ ابن هشام : المغني ، ١٣٩/١ ـــ ١٤٤ .

[٦] ـــ د. سمير ستيتية : الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، دار القلم ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٣ (بتصرف)

٧ - **الكـــاف** :

تكون اسمية وحرفية ، ولا فرق بينهما في بحثنا ، إذ يرى البحث أنها في كل حالة من الحالتين كلتيهما تكتسب معنى ما ، يفهم من خلال التركيب ، فهي بدورها حرف من حروف المعاني الأحادية ذات الأهمية الكبيرة في الجملة العربية ، وقد قال عنها ابن هشام : " الكاف المفردة جارة وغيرها ، والجارة حرف واسم ، والحرف له خمسة معان (أحدها) التشبيه ، نحو : زيد كالأسد . و (الثاني) التعليل ، أثبت ذلك قوم، ونفاه الأكثرون ، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بها كحكاية سيبويه ؛ كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه ... و (الثالث) الاستعلاء ، ذكره الأخفش والكوفيون ، وأن بعضهم قيل له : كيف أصبحت ؟ فقال : كخير ؛ أي على خير ... والمعنى (الرابع) المبادرة ، وذلك إذا اتصلت بـ (ما) نحو : سلّم كما تدخل وصلّ كما يدخل الوقت ... و (الخامس) التوكيد وهي الزائدة نحو : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " . قال الأكثرون : التقدير ليس مثله شيء ... وأما الاسمية الجارة فمرادفة لـ (مثل) ولا تقع كذلك عند سيبويه والمحققين إلا في الضرورة ... وقال كثير منهم الأخفش والفارسي : يجوز في الاختيار " [١] .

والكاف تقع في نهاية الكلمة وتكون تارة حرفاً كالكاف في إياك وذلك وأولئك ورويدك وهاك ، وهي عندئذ حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، وقد تكون اسماً في محل جر نحو : كتابك ، أو في محل نصب نحو : أكرمك الله .

٨ - **الـــلام** :

حرف اللام في العربية يعد من الأحرف التي تثير دهشة الدارس للغة ؛ وذلك بسبب اختلاف أحوال الكلمات التي تدخل عليها اللام ، فقد نجد أن ما بعدها مرفوع

---

[١] ـ ابن هشام ، المغني ، ١/١٥١ ـ ١٥٦ .

نحو : لمحمدٌ مجتهد . وتارة يكون منصوباً نحو : ما كان محمد ليرسبَ هذا العام . وقد يكون مضارعاً مجزوماً نحو قوله تعالى : " لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ " [١] . وقد يكون اسماً مجروراً نحو : أعطيت الكتاب لصاحبِهِ . ولا أظن أن في اللغة حرفاً يضاهي اللام في تعدد معانيها وتنوع وظائفها . [٢]

وعن اللام قال ابن هشام: اللام المفردة ثلاثة أقسام : عاملة للجر ، وعاملة للجزم وغير عاملة ...وللام الجارة اثنان وعشرون معنى: الاستحقاق ، والاختصاص، والملك ، والتمليك ، وشبه التمليك ، والتعليل ، وتوكيد النفي ، وموافقة كل من : إلى وعلى وفي وعند وبعد ومع ومن وعن وبمعنى التبليغ ، والصيرورة ، والقسم والتعجب معاً ، والتعجب المجرد ، والتعدية ، والتوكيد ، والتبيين .

وأما اللام العاملة للجزم فهي اللام الموضوعة للطلب ، وحركتها الكسر ، وسليم تفتحها، وأما اللام غير العاملة فسبع وهي : لام الابتداء ، والزائدة الداخلة على خبر المبتدأ، ولام الجواب ، والداخلة على أداة الشرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط ، ولام (أل) كالرجل والحرث ، واللام اللاحقة لأسماء الإشارة للدلالة على البعد ، ولام التعجب غير الجارة نحو : لظرف زيد ، ولكرم عمرو ، بمعنى : ما أظرفه ، وما أكرمه [٣] .

---

[١] ــ الطلاق : الآية ٧ .

[٢] ــ والدليل على صدق هذا القول كثرة الكتب التي خصصت لدراسة اللام ، وقد ألف في حرف اللام كل من الهروي وابن فارس والزجاجي وابن النحاس وغيرهم من علماء اللغة :

[٣] ــ ابن هشام : المغني ، ١/١٧٥ــ ١٩٤ (ملخصاً) ، وانظر ما كتبه الهروي في كتابه اللامات تحقيق ، يحيى علوان البلداوي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص١٤٢،١٤٣ ، وكذلك الزجاجي في كتابه اللامات ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ص١٣٤ ، وكذلك كتابه حروف المعاني ، ص٤٠ ــ ٤٧ .

٩- الميم :

تأتي الميم حرفاً من حروف المعاني في أول الكلمة ، وفي وسطها ، وفي آخرها . أما في أول الكلمة فتزاد الميم في بعض أوزان المبالغة القياسية وهي : مِفعال، وكذلك في أول اسم المفعول من الثلاثي وغيره ، وفي اسم الفاعل من غير الثلاثي ، وتكون حركة ما قبل الآخر عندئذ هي الفارقة بين الفاعل والمفعول .

وتزاد الميم مكسورة في أوزان اسم الآلة ، مِفعل ، ومفعال ، ومفعلة ، ومفتوحة في اسمي الزمان والمكان . [١]

وتزاد الميم ساكنة في آخر الضمائر دالة على جمع المذكر نحو: هم ، وأنتم ، وإياكم ، وإياهم ، وتزاد مشددة في آخر اسم الجلالة دالة على النداء في اللهمَّ [٢] .

وعندما يراد للكلمة أن تخرج من الجمع إلى التثنية فإن ألفاً تزاد بعد الميم فتتوسط الميم الكلمة بعد أن كانت متطرفة ؛ وذلك نحو : هما وأنتما وإياكما وإياهما .

ولعل اختيار الميم في الدلالة على الجمع الذي ينضم بعضه إلى بعض ، جاء مناسباً حيث إن الشفتين تنضمان فيها بشدة فيكون اللفظ قد دل على المعنى ، ويكون الحرف قد سيق على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب على حد قول ابن جني . [٣]

١٠- النون :

حرف النون من الحروف المحببة في اللغة العربية ، وهو يدل على معان كثيرة ، فهو يكون في أول المضارع ضمن حروف (أنيت) للدلالة على جماعة المتكلمين . وهو علامة للرفع في الأفعال الخمسة ، وحذفه علامة النصب والجزم ،

---

١ ــ انظر سيبويه : الكتاب ، ٢٣٧/٣.

٢ ــ السابق : ١٩٦/٢ .

٣ ــ انظر المرادي : الجنى الداني ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

وهو زائد مفتوح بعد الواو في جمع المذكر السالم ، ومكسور بعد الألف في المثنى ، وتلحق آخر المضارع والأمر مشددة ومخففة للتوكيد ، وهي عندئذ تنقل المضارع من الإعراب إلى البناء على الفتح عند تجرده من الضمائر ، وتلحق آخر الفعل مفتوحة للدلالة على جماعة الإناث ، وتبني المضارع عندئذ على السكون . وتزاد ساكنة نطقاً لا كتابة في آخر الأسماء المتمكنة في حالة تنكيرها ، وهو ما يعرف بالتنوين وله أسماء عديدة [١] .

وتزاد في آخر الفعل قبل ياء المتكلم لتقي الفعل من الكسر ، وهو ما يعرف بنون الوقاية . وتزاد في آخر الأسماء قبل ياء النسب في نحو صيدلاني ، للرجل المختص في علم الصيدلة . وصيدلانية ، للمرأة التي تمارس هذا العلم ، ولعل السبب في ذلك هو أمن اللبس ؛ لأننا إذا قلنا للمرأة صيدلية فسوف يلتبس اللفظ بمكان بيع الأدوية ؛ ومن هنا كان التصرف في الكلمة ، والميل بها نحو الصيدلانية ، ثم حمل اللفظ المذكر على المؤنث .

١١- الهـــاء :

تأتي الهاء حرفاً من حروف المعاني في أربعة مواضع وهي :

١ــ هاء الضمير للمفرد المذكر الغائب ، وهذه الهاء تلحق آخر الأسماء والأفعال والحروف نحو قوله تعالى : "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ " [٢] .

٢ــ هاء السكت وهي هاء تلحق وقفاً لبيان الحركة ، وهي واجبة في موضعين : أحدهما : ما بقي من الأفعال المعتلة على أصل واحد نحو: عِهْ . والثاني : " ما " الاستفهامية إذا جُرّت بإضافة اسم ، نحو : قراءة مه ؟

---

١ ــ هناك ما يعرف بتنوين العوض ، وتنوين التنكير والترنم والغالي ...إلخ ، انظر للمرادي ، الجنى الداني ص١٤٤

٢ــ الكهف : ٣٧

٣ــ هاء التأنيث ، نحو " رحمة " في حالة الوقف ، وقد رأى الكوفيون أنها الأصل ، وأن التاء المنقلبة عنها في حالة الوصل فرع لها وهو خلاف ما ذهب إليه البصريون .

٤ــ الهاء المبدلة من همزة الاستفهام نحو : هزيد منطلق؟ بدلاً من أزيد منطلق ؟ [١]

١٢- الـــواو :

تأتي الواو حرفاً من حروف المعاني في بداية الكلمة وفي وسطها وفي آخرها .

أما عن مجيئها في بداية الكلمة فتكون للقسم ، وبدلاً من رب ، وللعطف ، وللمعية ، وفيها تفاصيل كثيرة ذكرها النحاة في كتبهم [٢] .

وأما عن وقوعها في وسط الكلمة ، ولاسيما قبل الحرف الأخير ، فإنها تقع قبل النون المفتوحة في جمع المذكر السالم ، وفي الأفعال الخمسة ، التي يكتب بعدها ألف في حالتي النصب والجزم لتكون هذه الألف فارقة بينها وبين الواو الأصلية التي هي لام الكلمة في نحو " هو يدعو إلى الخير " . ومن هذه الواو أيضاً ما أسماه النحاة واو الإنكار نحو قولك : " أعمروه " ؟ لمن قال : جاء عمرو . وحرف الإنكار تابع لحركة الآخر [٣] .

وقد نظم المرادي المعاني التي تأتي لها الواو في ثلاثة أبيات فقال :

"الـوَاوُ أَقْسَامُهَا تَأْتِي مُلَخَّصَةً ... أَصْلٌ وَعَطْفٌ والاستئنافُ والقسمُ
والحالُ والنَّصبُ والإعرابُ مضمرةً ... عَلامةُ الجمعِ والإشباعُ منتظمُ

١- انظر الجنى الداني ص ١٥٢ ، والمغنى ٢٧/٢ .

٢ ــ انظر مغني اللبيب ، ٣٠/٢ــ٣٣ ، والجنى الداني ، ١٥٨ ــ ١٦٢ .

٣ ــ الجنى الداني ، ص ١٧٢ .

وزائـدٌ وبـمعنى أو وربَّ ومـعْ وواوُ الإبـدالِ فـيها الـعدُّ يُخْتَتَمُ " [١]

١٣ - الألـف :

المقصود بالألف هنا حرف العلة الذي يلي الفتحة في وسـط الكلمـة أو فـي آخرها ، نحو : سالم ، ورنا ، وقد وضعته الألفبائية العربية بين الواو والياء ، ولما لـم يكن هذا الحرف مستطيعاً القيام بنفسه ، حمل على لام قبله ، وقد أجاب المرادي عـن سبب اختيار اللام بالذات فقال : " فإن قيل : فلم خصـت الـلام بـهذا دون غيرهـا؟ فالجواب : أن العرب لما توصلوا بألف الوصل إلى اللام الساكنة في "الرجل" توصلـوا إلى الألف الساكنة باللام مقاصةً " . [٢]

وتقع هذه الألف حرفاً من حروف المعاني في أول الكلمة ، وفـي وسـطها ، وفي آخرها، فتكون ألفاً لوصل يتوصل بها إلى النطق بالسـاكن فـي نحـو : اكتـب الدرس ، حيث إنه من المعلوم أن الأمر يأتي من المضارع وذلك بعد حـذف حـرف المضارعة . والمضارع هنا هو " يكتب " فإذا حذفنا حرف المضارعة بقيـت الكـاف الساكنة في أول الكلمة ، ولما كانت العربية لا تبدأ بالساكن جيء بألف متحركة حتـى نصل إلى النطق بالساكن .

وتأتي هذه الألف حرفاً للمعاني قبل الحرف الأخير في الاسم المثنـى نحـو: كتابان . وفي المضارع المسند إلى ألف الاثنين نحو : يكتبان ، وتفصـل بيـن نـون النسوة ونون التوكيد في نحو قولنا : اضربنان يا نسوة . وقبل هاء ساكنة فـي الندبـة والإنكار نحو : وا إسلاماه ، وأزيداه إذا أنكرت قول من يقول : جاء زيد .

وتأتي الألف حرفاً للمعاني في آخر الكلمة في الحالات الآتية :

---

[١] ـ السابق : ص ١٧٤ .

[٢] ـ السابق : ص ١٧٩ .

١ــ في أسلوب الاستغاثة نحو : يا زيدا أدركنا.
٢ــ في التعجب نحو : يا عجبا.
٣ــ بدل من نون التوكيد الخفيفة كقوله تعالى : "لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ " . [١]
٤ــ بدلاً من تنوين المنصوب نحو : رأيت زيدا.
٥ــ الإشباع في الشعر ونحوه عبد الفتحة [٢] .

ولا يخفى أن الألف تبدل من حرفي العلة ومن الهمزة ، وتفصيل ذلك في كتب الصرف ، في باب الإعلال والإبدال.

١٤- الباء :

تكون الياء حرفاً للمعاني في أول الكلمة إحدى حروف (أنيت) إذ إنها سابقة تدل على أن الفاعل غائب ، ثم تأتي اللواحق بعدها لتحدد نوع هذا الفاعل وعدده نحو: يكتب ، يكتبان يكتبون ، يكتبن. وتقع الياء وسط الكلمة في الاسم عند تصغيره ، ولولا هذه الياء لما عرف المصغر من غيره إلا بإضافة كلمة أخرى تصف الاسم بالتصغير. كما تقع قبل النون في آخر المضارع فتدل على أن المخاطب مفردة مؤنثة ، وتكون هذه النون علامة للرفع ، وتحذف عند الأمر الذي يبنى على ما يجزم به مضارعه.

كما تكون هذه الياء علامة النصب والجر في جمع المذكر السالم والمثنى والملحق بهما. وتتطرف هذه الياء مشددة في آخر الكلمة فتدل على النسب ، كما تكون علامة للجر في الأسماء الستة ، فتنوب بذلك عن العلامة الأصلية للجر وهي الكسرة .

ولولا هذه الياء فيما تقدم لما استطعنا معرفة البنية العميقة لهذه التراكيب وتلك الألفاظ ؛ لذلك فإن البحث لا يتفق مع ما ذهب إليه ابن هشام والمرادي من نفيهما أن

---

[١] ــ العلق : ١٥ .
[٢] ــ انظر ما قاله المرادي في كتابه القيم : الجنى الداني ، ص١٧٥ ، وما بعدها .

تكون ياء التصغير وياء النسب وياء المضارعة من حروف المعاني لمجرد أنها سبقت الكلمة أو لحقتها وأصبحت كالجزء منها في بنيتها السطحية . [١]

هذه هي المعاني النحوية والدلالية لحروف المعاني الأحادية ، وهي كما نرى معاني متعددة ومتنوعة لا تستغني عنها اللغة ولا يمكن أن تقوم بدونها .

[١] ـ انظر المغني : ٤١/٢ ، والجنى الداني : ١٨١ .

ثبت المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

أولاً : المصادر والمراجع :

١ – آن إينو : مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ، ترجمة : د. أوديت بيتيت ، وأخر، دار السؤال ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٠.

٢ – د.إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٤.

٣ – د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١.

٤ – بسام بركة : علم الأصوات العام ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨.

٥ – البغدادي : خزانة الأدب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٢.

٦ – د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٨.

٧ – ابن جني : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٠.

٨ – " : سر الصناعة ، تحقيق : د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٥.

٩ – حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٨.

١٠ –د. داود عبده : دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ، العربي للنشر ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٠.

١١ -رضي الدين الإستراباذي : شرح الشافية ، تحقيق محمد نور الحسن وآخَرَيْن، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٢ -د. رمضان عبد التواب : مشكلة الهمزة العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦.

١٣ -الزجاجي : اللامات ، تحقيق : د. مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢، ١٩٨٥.

١٤ -سعد عبد الله الغريبي : الأصوات العربية ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط١، ١٩٨٦.

١٥ -د. سمير ستيتية : الشرط والاستفهام في الأساليب العربية ، دار القلم ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ط١ ، ١٩٩٥.

١٦ -سيبويه : الكتاب ، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٢.

١٧ -السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ، (د .ت) .

١٨ -ابن الشجري : الأمالي الشجرية ، تحقيق د. محمود الطناحي ، الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢.

١٩ -د. عادل خلف : أصوات اللغة العربية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٤.

٢٠ -د. عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨.

٢١ -د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٦.

٢٢ -د. عبد الغفار هلال : أصوات اللغة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٨.

٢٣ - د. عبد الغفار هلال : العربية خصائصها وسماتها ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٥.
٢٤ -د. علي أبو المكارم : المدخل إلى دراسة النحو العربي ، ط١ ، ١٩٨٠.
٢٥ -د. غالب فاضل المطلبي : في الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٤٨.
٢٦ -د. فايز الداية : جماليات الأسلوب ، منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب ، ١٩٨٢.
٢٧ -أبو الفداء : الكُنّاش ، تحقيق: علي الكبيسي وآخر ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، الدوحة ، ١٩٩٣.
٢٨ -ابن القيم : مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الحديث، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤.
٢٩ -د. كريم زكي حسام الدين : الدلالة الصوتية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢.
٣٠ -د. كمال بشر : الأصوات العربية ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠.
٣١ -ماريو باي : أسس علم اللغة ، ترجمة: د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٩٨.
٣٢ -أبو المحاسن المهلبي : نظم الفرائد وحصر الشرائد ، تحقيق : د. عبد الرحمن سليمان بن عثيمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦.
٣٣ -د. محمد عبد المجيد الطويل : من ملامح الإبداع النحوي عند أبي العلاء ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠.
٣٤ -محمد عنبر : جدلية الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧.
٣٥ -د. محيي الدين رمضان : في صوتيات العربية ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ط١ ، ١٩٧٩.

٣٦ –المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة وآخر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٢.
٣٧ –د. مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية ، شركة الربيعان ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٩.
٣٨ –نعيم علوية : نحو الصوت ونحو المعنى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٢.
٣٩ –الهروي : اللامات ، تحقيق: علوان البلداوي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٠ .
٤٠ –ابن هشام : قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت)
٤١ –ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، بحاشية الشيخ محمد الأمير ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د.ت) .
٤٢ –ابن يعيش : شرح المفصل ، عالم الكتب ، القاهرة ، وبيروت ، ١٩٧٠.

ثانيا : الدوريات :

١ــ د. رمضان عبد التواب : (التطور وقانون السهولة والتيسير) مجلة المجمع ، القاهرة ، ج٣٦ ، ١٩٧٥.
٢ــ د. سعيد عبد الله الشهراني : (الصوت العربي وقيمته الدلالية عند ابن جني)، حوليات دار العلوم ، العدد ٢٤، مارس ، ١٩٩٩.
٣ــ د. محمد عبد العزيز الرفاعي : (نظرية الصرف العربي ــ دراسة في المفهوم والمنهج) ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت.١٩٩٩
٤ــ بناصر البعزاتي : (في مسألة البداية التاريخية للمعرفة اللغوية) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، المغرب ، العدد ١٨، ١٩٩٣.